كن سلفياً على الجادة

تأليف
عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي
" الأستاذ المشارك بقسم الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية "

قرأه
معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

قدم له

فضيلة الشيخ العلامة
علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية سابقاً والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

فضيلة الشيخ العلامة
عبيد بن عبد الله الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية " سابقاً "

دار المنهاج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كُن سَلَفِيًّا عَلَى الجَادَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢١٠٣١ /٢٠٠٤م

دار المنهاج

الإدارة : ١٧ شارع صعب صالح ـ من أحمد عصمت ـ عين شمس الشرقية ـ القاهرة ـ ج.م.ع
جوال: ١٧ ٣٣ ٥٣٣ ٣٩ ١٢ ٠ / ٠٠٢ هاتف وفاكس: ٠٠٢٠٢/٤٩٨٨٦٢٤
المكتبة: ٨١ شارع الهدي المحمدي ـ من أحمد عرابي ـ مساكن عين شمس ـ القاهرة
جوال : ٠٠٢/٠١٢٤٠٧٣٩٧٤
E-Mail:daralmenhaj@hotmail.com

تنبيه

لقد قمت بعرض هذا الكتاب على جَمع من أفاضل أهل العلم، ورغبت منهم قراءته لأفيد من علمهم وتوجيهاتِهم؛ فجزاهم الله خيرًا، ولأطمئن، ويطمئن القارئ على صحة وسلامة ما تضمنه هذا الكتاب.

- **وفِي مقدمة هؤلاء العلماء الأفاضل**: سَماحة الشيخ العلامة الدكتور/ صالِح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو الْهَيئة الدائمة للإفتاء، والذي قرأه مع كتاب آخر لِي[١].

وقال -حفظه الله-: "تأملت الكتابين كما طلبتم، ولَمْ يظهر لِي عليهما أي ملاحظة".

- وصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور/ علي بن ناصر فقيهي، المدرس بالمسجد النبوي الشريف، ومدير إدارة الشئون العلمية بِمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- وصاحب الفضيلة الشيخ/ عبيد بن عبد الله الجابري، المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا.

- وصاحب الفضيلة الدكتور/ صالِح بن سعد السحيمي، المدرس بالمسجد

---

(١) بعنوان: "كلمات نافعات فِي أمور مهمات". يسر الله طباعته.

النبوي الشريف، والأستاذ المشارك بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وغيرهم من أهل العلم، جزاهم الله خيرًا، ونفعنا الله والمسلمين بعلمهم.

وصلى الله على عبده ورسوله نبينا مُحمَّد وعلى آله وأصحابه أجْمَعين.

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور
علي بن ناصر فقيهي

الأخ الفاضل الدكتور/ عبد السلام بن سالِم السحيمي -وفقه الله-:

السلام عليكم ورحْمَة الله وبركاته . . .

- **أما بعد:**

فقد قرأت بَحثكم بعنوان: "**كن سلفيًّا على الْجَادة**" فوجدته بَحثًا جيدًا فِي موضوعه، وليس لِي عليه ملاحظات جوهرية، ما عدا بعض العبارات، أو اقتراحات تَجدونَها على بعض صفحات البحث إذا رأيتم أخذ المناسب منها.

وفقكم الله.

والسلام عليكم ورحْمَة الله وبركاته.

وكتبه محبكم

أ.د. علي بن محمد ناصر فقيهي

في ١٤٢٤/٢/٢٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم فضيلة الشيخ
عبيد بن عبد الله الجابري -حفظه الله-

الْحَمد لله رب العالَمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلاَّ على الظالِمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قيُّوم السموات والأرضين، وذو الألوهية والعبودية على خلقه أجْمَعين.

وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله خاتم النبيين، وإمام المتقين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وسادة العالَمين بعد النبيين والمرسلين، وسلم تسليمًا كثيرًا على مرِّ الأيام والليالِي والسنين.

- أما بعد:

فما أحسن ما قاله الإمام، العلامة، البحر، الجهبذ، مُحمَّد بن أبِي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بـ"ابن قيِّم الجوزية"، وذلك فِي كتابه العظيم المبارك "زاد المعاد"؛ إذ قال -رحِمه الله-: "فمن أنشأ أقوالاً، وأسَّس قواعد بِحسب فهمه وتأويله؛ لَمْ يَجب على الأمة اتباعها، ولا التحاكم إليها حَتَّى تُعرض على ما جاء به الرسول، فإن طابقته، ووافقته، وشُهِد لَها بالصحة؛ قُبِلت حينئذٍ، وإن خالفته وجب ردُّها

واطِّراحُها؛ فإن لَمْ يتبين فيها أحدُ الأمرين؛ جُعلت موقوفة؛ وكان أحسن أحوالِها أن يَجوز الحكم والإفتاء بِها وتركه". اهـ[(١)].

وهذا؛ لأنه متقرر عند الأئمة من السلف الصالِح أن أقوال الناس وأعمالَهم توزن بالنص والإجْماع، فمن وافق نصًّا، أو إجْماعًا قُبِلَ منه، ومن خالف واحدًا منهما رُدَّ عليه كائنًا من كان.

ومن خبر حال الأئمة، ودعاة الهدى من السلف الصالِح، بدءًا من الصحابة، وأئمة التابعين ومن سلك سبيلهم، واقتفى آثارهم؛ بان له أَنَّهم على هذا المسلك سائرون، وفِي وجوه أهل البدع والأهواء واقفون، ولِحججهم بِما آتاهم الله من قوة البراهين، والأدلة من الكتاب والسنة داحضون.

فكانوا بِحق كما فِي الأثر: «يَحملُ هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تَحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

وكانوا كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتِي على الْحَقِّ ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم أو خذلَهم حَتَّى يأتِي أمر الله»**.

- **قلت**: ولقد أبدع وأفاد وأجاد، أخونا الفاضل الدكتور/ عبد السلام بن سالِم السحيمي، الأستاذ المشارك بقسم الفقه فِي كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية؛ إذ أبان -بصراحة ووضوح وبأسلوب علمي رفيع- قواعد وأصول وسِمات فِي المنهج السلفي الحق، وذلك فِي كتابه القيِّم الموسوم بـ"**كن سلفيًّا على الْجَادة**" شكر الله سعيه، وأجزل مثوبته، وجعل ما كتبه فِي ميزان أعماله راجحًا يوم القيامة.

- **ومن تلك القواعد والأصول والسمات:**

١- أهل السنة والجماعة، هم خير من يُمثل الوسطية.

---

(١) "زاد المعاد" (١/٣٨).

٢- الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب من مُجددي الإسلام، والدعوة السلفية.

٣- معاداة الكفار للإسلام، والدعوة السلفية.

٤- أثر الدعوات الحزبية على الإسلام عمومًا، وعلى الدعوة السلفية خصوصًا.

٥- وجوب إظهار مذهب السلف.

٦- جواز الانتساب إلَى السلف، والتلقب بالسلفية.

٧- أهم مُميزات المنهج السلفي.

٨- منهج أهل البدع والأهواء.

٩- بعض القواعد فِي المنهج السلفي.

١٠- الرد على المخالف.

١١- الأبواب الَّتِي يَجوز فيها الغيبة والجرح عند علماء الإسلام.

١٢- عقوبة من والَى المبتدعة.

- **قال كاتب هذه السطور**: وكان أخونا الشيخ عبد السلام -حفظه الله، وسدَّده فِي أقواله وأعماله- معتمدًا فيما أودعه هذا الكتاب على الدليل من: الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية، سواءً فِي ذلك ما ذكرناه، وما لَمْ نذكره مِمَّا احتواه الكتاب.

فكان هذا الكتاب -ولله الْحَمد والْمِنَّة- قوي المضمون، وافِي الْمُحتوى، مُحقّقًا -إن شاء الله- ما توخاه فيه كاتبه.

والله أسأل لِي وللأخ عبد السلام ولِجميع المسلمين: الإخلاص فِي الأقوال والأعمال، والسير على هدي السلف الصالِح من التمسك بالكتاب والسنة، وأن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ولا يَجعله ملتبسًا علينا فنضل، إن ربِّي على صراط مستقيم، وبعباده رءوف رحيم.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه أجْمَعين.

وكتبه

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

وكان في صباح السبت/ العشرين من ربيع الأول

عام ثلاثة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الْحَمد لله، نَحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

– أما بعد:

فقد بعث الله نبيه مُحمَّدًاﷺ رحْمة للناس: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وجعل أمته أمةً وسطًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة:١٤٣]. أي: عدولاً لا يَميلون عن الحق لا إلَى غلوٍّ، ولا إلَى جفاء؛ بل يتوسطون ويعتدلون.

إذ دين الإسلام قد نَهى عن الغلوِّ والجفاء وأمر بالتوسط والاعتدال فِي الأمور كلها، وإن من أبرز سِمات هذا الدين: العدل والإنصاف، وعدم الظلم، والحكم

بالقسطاس المستقيم.

وإن خير من يُمثل الوسطية فِي الأقوال والأعمال والمعتقدات -الوسطية الَّتِي جاء بِها الإسلام- خير من يُمثلها: هم أهل السنة والجماعة؛ الذين تَمثلوا الإسلام فِي جَميع أمورهم اقتداءً بالنَّبِي ﷺ وخلفائه الراشدين اتباعًا للكتاب والسنة، وفقَ فهم سلف الأمة، فهم أولَى الناس دخولاً فِي هذه الوسطية وإن كل معنًى من معانِي الوسطية ثبت لِهذه الأمة فلأهل السنة والجماعة منه الحظ الأوفر، والنصيب الأعلى.

وما ذاك إلاَّ لأنَّهم الأنْموذج الأمثل للأمة الَّتِي جعلها الله أمة وسطًا، وأخبر أنَّها خير أمة أخرجت للناس؛ إذ هم الطائفة الوحيدة الَّتِي حققت المتابعة الْمَحضة لكتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، بِخلاف غيرهم من فرق وطوائف الأمة، فإنه ما من فرقة، ولا طائفة إلاَّ ولَها من الأقوال والاعتقادات ما يُخالف كتاب الله وسنة رسوله[1].

لذلك كان أهل السنة خير فرق هذه الأمة، وأوسط طوائفها، فهم الطائفة المنصورة، وهم "الفرقة الناجية"[2].

وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله-: "وسط فِي النِّحل كما أن ملة الإسلام وسط فِي الملل"[3].

- **ومن المعلوم:** أن أهل السنة والجماعة هم أصحاب رسول الله ﷺ، وهم

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** "والحق الخالص الذي لا باطل فيه مع أهل السنة والجماعة، وهذا معروف بالتتبع فِي كثير من العقائد والأصول". انظر: طريق الوصول إلَى العلم المأمول (ص ٢٢).

(٢) انظر: "وسطية أهل السنة بين الفرق" (ص ٢٨٧).

(٣) الفتاوى (٤/١٤٠).

التابعون لَهم بإحسان، ومن سار على منهجهم، وسلك طريقتهم إلَى يوم الدين، ولَمْ يتسَمَّ أهل السنة والجماعة بِهذا الاسم "أهل السنة والجماعة" إلا بعدما ظهرت البدع، وتعددت فرق الضلال، وأخذ كلٌّ يدعو إلَى بدعته وهواه مع انتسابِهم فِي الظاهر إلَى الإسلام.

من هنا كان لابد لأهل الحق أن يُعرفوا بأسْماء تُميِّزهم عن غيرهم من أهل الابتداع والانْحراف فِي العقيدة، فظهرت حينئذٍ أسْماؤهم الشرعية المستمدة من النصوص الشرعية، فمن أسْمائهم: "أهل السنة" و"أهل السنة والجماعة" و"الفرقة الناجية" و"الطائفة المنصورة" و"أهل الحديث والأثر".

ولكن لَمَّا تسمَّت بعض الطوائف المبتدعة بأهل السنة، وهم ليسوا على معتقد أهل السنة والجماعة من هنا تسمَّى أهل السنة والجماعة بـ"السلفيين"، وأطلقوا على دعوتِهم "الدعوة السلفية"، فقيَّدوا اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالِح من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان مِمَّن عُرف بتمسكه بالسنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والتحذير منها.

وقد أمرنا الله باتباع الصحابة، واقتفاء أثرهم، وسلوك منهجهم، قال تعالَى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥].

- **يقول ابن القيم -رحِمه الله-**: "وكل من الصحابة منيبٌ إلَى الله فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله، والدليل على أنّهم منيبون إلَى الله تعالَى: أن الله قد هداهم، وقد قال: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣]"(١).

وقد رضي الله عن الصحابة، وعمَّن تبعهم بإحسان، قال تعالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ

(١) إعلام الموقعين (٤/١٢٠).

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فليس من الابتداع فِي شيء أن يتسمى أهل السنة والجماعة بـ"السلفيين"؛ إذ إن مصطلح "السلف" يساوي تَمامًا مصطلح "أهل السنة والجماعة"، ويُدرَك ذلك بتأمل اجتماع كلٍّ من المصطلحين فِي حق الصحابة، فهم السلف الصالِح، وهم أهل السنة(١)، فكما يصح لنا القول: "سنِّي" نسبة إلَى أهل السنة، يصح لنا القول: "سلفي" نسبة إلَى السلف لا فرق(٢).

وإنه بعد وجود الفرق، وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف منطبقًا على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج طبقًا لفهم الصحابة والقرون المفضلة، ويكون هذا المصطلح "السلف" مرادفًا للأسْماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة، وأن الدعوة إلَى اتباع السلف، أو الدعوة السلفية إنَّما هي دعوة إلَى الإسلام الحق وإلَى السنة الْمحضة، ودعوة إلَى العودة إلَى الإسلام كما أُنزل على النَّبِي ﷺ وتلقَّاه عنه أصحابه الكرام، ولا شك أن هذه الدعوة، دعوة حق، والانتساب إليها حق.

- **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله-**: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، أو اعتزى إليه، بل يَجب قبول ذلك منه، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا".

وقد كان لأئمة الإسلام من أهل السنة الأثر الكبير فِي الدعوة إلَى السنة، والعودة إلَى طريقة السلف ومنهجهم والاقتداء بِهم، ومن هؤلاء الأئمة: مالك، والشافعي، وأحْمَد، وابن خزيْمَة، وابن أبِي عاصم، والأصبهانِي، والآجري، وغيرهم.

---

(١) انظر: موقف أهل السنة من أهل البدع (ص ٦٣).

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

ثُمَّ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه: كابن القيم، وابن عبد الهادي، وابن كثير، والذهبي.

ثُمَّ شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده؛ مِمَّا أدى إِلَى ظهور اتِّجاه سلفي على مر التاريخ، يستقي أسس دينه وعقيدته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالِح، ويقاوم كل تيار بدعي يَخرج عن هذه الأسس.

وقد أطلت فِي بيان هذا الأمر وتوضيحه، لأننا نسمع ونقرأ من يطعن فِي السلفية، والتسمي بِها، أو يدَّعي أنَّها حزبية، وأنه لا فرق بينها وبين الجماعات الحزبية المعاصرة، وقد يقول البعض بأن مؤسس السلفية، هو الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب.

- **والْحَقيقة**: أن الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه الله- إنَّما هو داعية من دعاة السلفية، ومُجدد من مُجدديها، أحيا معالِمها بعد دروسها، وأعادها نقية صافية فِي هذه الجزيرة بعدما تكدر صفوها، وطغت عليها البدع والخرافات.

بل إن هذه الدولة المباركة -المملكة العربية السعودية- حرسها الله- دولة سلفية، ودعوتُها دعوة سلفية، كما نص على ذلك مؤسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرَّحْمَن آل سعود -رحِمه الله-، حيث قال فِي خطابه الذي ألقاه فِي حج عام (١٣٦٥هـ): "إنِني رجل سلفي، وعقيدتِي هي السلفية، الَّتِي أمشي بِمقتضاها على الكتاب والسنة".

وقال فِي الْخِطَاب نفسه: "يقولون: إننا وهابية، والحقيقة: أننا سلفيون مُحافظون على ديننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلاَّ كتاب الله وسنة رسوله"[(١)].

---

(١) المصحف والسيف (١٣٥-١٣٦).

فالمملكة قامت على الإسلام الحق المبني على كتاب الله وسنة رسوله، وفق فهم سلف الأمة(١)، ولذا اتسمت سياستها بالحكمة والعدل، والتسامح مع المذاهب الفقهية المعتبرة.

وبناءً على هذا فإن طلاب كليات الشريعة فِي المملكة يدرسون فقه الأئمة الأربعة: أبِي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحْمَد، ولاسيما فِي الجامعة الإسلامية بالمدينة؛ لأن الخلاف بين هذه المذاهب ليس فِي العقيدة، وإنَّما فِي الفروع الفقهية.

يقول الْمَلك عبد العزيز –يرحمه الله–: "... والذي نَمشي عليه هو طريق السلف الصالِح، ولا نكفِّر أحدًا إلا من كفَّره الله ورسوله، وليس من مَذهبٍ سوى مذهب السلف الصالِح، ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها، فأبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل أئمتنا". اهـ كلام هذا الإمام.

وهو كلام نفيس يُمثل المعنَى الصحيح للسلفية الذي هو المعنَى الصحيح للإسلام.

وفِي هذه الآونة يتعرض الإسلام(٢) عمومًا والمملكة العربية السعودية(٣) والدعوة السلفية(٤) خصوصًا إلَى افتراء وظلم وتشويه وقلب للحقائق من قِبَل بعض الساسة والكُتَّاب الغربيين المعادين للإسلام، والذين تقف الصهيونية وراءهم، ويقف معهم فِي ظلمهم وافترائهم من تأثر بِهم فِي بعض البلدان، ومع أن الدعوة السلفية هي

(١) وقد طبقت الإسلام الصحيح البعيد عن الإفراط والتفريط.

(٢) وليس بِمستغرب عداوة اليهود والنصارى والكفار للإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾.

(٣) لكونِها تطبق الشريعة.

(٤) لكونِها تُمثل الإسلام بِمعناه الصحيح.

أبعد ما يكون عن التكفير والتبديع والتفسيق بغير دليل، وهي أبعد ما يكون عن الغلو والتطرف؛ إلا أن هذه الدعوة المباركة أُلصق بها ما ليس فيها، ونُسب إليها من ليس على منهاجها؛ مِمَّا شوَّه جَمالَها وغيَّر حقيقتها ونفَّر منها، وزهَّد الناس فيها.

وإن من أبرز العوامل الَّتِي كانت سببًا فِي ذلك: هو وجود الجماعات الإسلامية الحزبية المعاصرة المتأثرة بفكر الخوارج؛ لكون بعض رموز وقادة ومفكري هذه الجماعات قد يوافقون المنهج السلفي فِي بعض الطروحات والتوجهات(١).

بل قد يتكلم بعضهم باسم السلفية، وهم ليسوا كذلك مِمَّا جعل الأمر يلتبس على الكثير من الناس الذين قد تَخفى عليهم الحقيقة ظنًّا منهم أن هذه الجماعات سلفية، أو على الفكر الوهابِي كما يَحلو للبعض تسميتها بذلك.

وإنك لتعجب مِمَّن يسمي الجماعات الحزبية بالجماعات السلفية الجهادية، وكيف تكون سلفية، وهي مُخالفة لَها فِي العقيدة والمنهج؟!

وكيف تكون جهادية والمعنَى الشرعي الصحيح للجهاد منتفٍ عن هذه الجماعات لعدم توفر الشروط الصحيحة للجهاد فِي هذه الجماعات؟!

وإن العبرة هي بالحقائق والمعانِي لا بالألفاظ والمسميات؛ لذا يَجب التنبه للخلط والتضليل الموجود فِي الساحة الإسلامية اليوم.

ويَجب العمل على تصفية الإسلام مِمَّا أُلصق به، مِمَّا ليس منه، وتربية النشء المسلم على الإسلام الحق المستقَى من النبع الصافي: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وفق فهم سلف الأمة، والذود عن هذا الدين، وإظهاره بالمظهر اللائق به.

ولقد مَنَّ الله على أمة نبيه مُحمَّد ﷺ بإكمال دينها، وإتْمام نعمته عليها،

---

(١) وإن كانوا يُخالفون فِي الكثير من العقيدة والمنهج.

ورضاه عنها بالإسلام الذي لا يقبل دينًا سواه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وقال تعالَى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

يقول ابن القيم –رحِمه الله–: "وهذا لأن الطريق الموصل إلَى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد فإنه متصل بالله موصل إليه".اهـ[١].

وقد أمرنا الله عند التنازع بالرد إليه، وإلَى رسوله ﷺ، والرد إلَى الله هو الرد إلَى كتابه، والرد إلَى رسوله هو الرد إليه فِي حال حياته، وإلَى سنته بعد وفاته، قال تعالَى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]. فكلمة ﴿ شَيْءٍ ﴾. هنا نكرة فِي سياق الشرط تعم كل اختلاف التضاد فِي الأصول والفروع[٢].

يقول ابن القيم: "ولو لَمْ يكن فِي كتاب الله وسنة رسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولَمْ يكن كافيًا لَمْ يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر الله تعالَى بالرد عند النِّزاع إلَى من لا يوجد عنده فصل النِّزاع"[٣].

وقال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩].

---

(١) التفسير القيم (١٤-١٥).

(٢) قاله الشيخ الشنقيطي –رحِمه الله– فِي أضواء البيان (١/٣٢٣).

(٣) إعلام الموقعين (١/٤٩).

وقال تعالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فتوعد الله من اتبع غير سبيل المؤمنين فدلَّ على أن اتباع سبيلهم فِي فهم شرع الله واجب، ومُخالفته ضلال، وأثنى الله على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وعلى من اتبعهم فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ [التوبة:١٠٠].

وبيَّن الرسول ﷺ أن خير الناس قرنه ثُمَّ الذين يلونَهم، فقال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثُمَّ الذين يلونَهم، ثُمَّ الذين يلونَهم**»[(١)].

وأمر ﷺ باتباع سنته، وسنة خلفائه الراشدين، وحذر من مُخالفتهم، فقال ﷺ: «**عليكم بسنتِي وسنة الْخُلفاء الراشدين الْمَهديين من بعدي، تَمسَّكوا بِها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(٢)].

ووصف ﷺ الفرقة الناجية بقوله: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابِي**»[(٣)]. فدلت هذه النصوص وغيرها على وجوب اتباع الكتاب والسنة، ووجوب اتباع سبيل المؤمنين.

وأَوْلَى الْمُؤمنين الذين يَجب اتباع سبيلهم: هم أصحاب رسول الله ﷺ كما تقدم قول ابن القيم: "وكل من الصحابة منيب إلَى الله تعالَى؛ فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله"[(٤)].

---

(١) رواه البخاري فِي صحيحه.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وهو حديث صحيح.

(٤) إعلام الموقعين (٤/١٢٠).

ويقول ابن مسعود ﷺ: «اتبعوا، ولا تبتدعوا فقد كُفيتم».

ويقول الإمام أحْمَد ‑**رحِمه الله**‑: "أصول السنة عندنا: التمسك بِما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بِهم، وترك البدع"[١].

فالواجب على كل مسلم هو: "اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالِح".

ورغبة منِّي فِي المشاركة فِي الدروس الَّتِي تلقى فِي كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية بقسم النشاط، فقد ألقيت ‑والحمد لله‑ عدة دروس تتعلق بالمنهج[٢] الصحيح، منهج السلف الصالِح؛ لأن السلفية تعنِي: اتباع دين الإسلام على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، ومن تبعهم على منهاجهم.

وقد رغب منِّي بعض الإخوة أن أطبع هذه الدروس، فراجعتها وأضفت إليها بعض الإضافات المتعلقة بالموضوع، ورأيت من المناسب تسميتها: "كن سلفيًّا على الجادة"[٣]، وقد تضمنت الأمور التالية:

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٥٦).

(٢) **قال الشيخ العلامة الدكتور صالِح بن فوزان الفوزان ‑حفظه الله‑:**
"المنهج أعم من العقيدة، المنهج يكون فِي: العقيدة، والسلوك، والأخلاق، والمعاملات، وفِي كل حياة المسلم، كل الخطة الَّتِي يسير عليها المسلم تسمَّى منهجًا.
أما العقيدة فيراد بِها: "أصل الإيْمان، ومعنَى الشهادتين ومقتضاهما، هذه هي العقيدة".
"الأجوبة المفيدة" (ص ٧٥).

(٣) وهذه التسمية مأخوذة مِمَّا ذكره الشيخ الفاضل الدكتور بكر أبو زيد فِي كتابه القيم "حلية طالب العلم" (ص ٨) حيث قال ‑أثناء كلامه على آداب طالب العلم فِي نفسه‑، قال: "كن سلفيًّا على الجادة، طريق السلف الصالِح من الصحابة ﷺ فمن بعدهم مِمَّن قفا أثرهم فِي جَميع أبواب الدين من: التوحيد، والعبادات، ونَحوها متميزًا بالتزام آثار رسول الله ﷺ، وتوظيف السنن علىْ نفسك، وترك الجدال والمراء، والخوض فِي علم الكلام، وما يَجلب الآثام، ويصد عن الشرع".

١- المقصود بالسنة.

٢- المسميات الشرعية لأهل السنة والجماعة.

٣- المقصود بالسلف.

٤- وجوب إظهار مذهب السلف.

٥- جواز الانتساب إلَى السلف، والتلقب بالسلفية.

٦- منهج السلف فِي العقيدة.

٧- أهم مُميزات المنهج السلفي.

٨- منهج أهل البدع والأهواء.

٩- طريق الخلاص هو: بالاتباع، وترك الابتداع.

١٠- أهم علامات أهل الزيغ.

١١- بعض القواعد فِي المنهج السلفي:

أ- قاعدة فِي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب- قاعدة فِي العبادات.

ج- قاعدة فِي أن مدار الدين على العلم النافع، والعمل الصالِح.

د- قاعدة درء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالِح.

هـ- قاعدة أن الأحكام الأصولية والفروعية لا تتم إلاَّ بأمرين وهُما:

- وجود الشروط.

- وانتفاء الموانع.

١٢- موقف السلف من المبتدعة: الحذر والتحذير.

١٣- الرد على المخالف.

١٤- الأبواب الَّتِي يَجوز فيها الغيبة والجرح عند علماء الإسلام.

١٥- شروط جواز غيبة المبتدع.

١٦- عقوبة من والِي المبتدعة.

أسأل الله تعالَى أن يرزقنا الإخلاص فِي القول والعمل، وأن يوفقنا والمسلمين للعلم النافع، والعمل الصالِح، وأن ينفع بِما كتبت.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه أجْمَعين.

الفقير إلى عفو ربه

عبد السلام بن سالم السحيمي

المدينة النبوية

صفر عام ١٤٢٣هـ

المقصود بالسنة

لَمَّا كان من المعروف أن من مسميات أهل السنة والجماعة: "السلفيون"؛ فيحسن التعريف بالسنة فِي اللغة، وفِي الاصطلاح، ثُمَّ بعد ذلك نُعرِّج على التعريف بِمسميات أهل السنة والجماعة، وذكر سبب ذلك.

- **فالسنة فِي اللغة**: هي الطريقة والسيرة[١].

وقد اختلف علماء اللغة: هل السنة مقصورة فِي اللغة على الطريقة الحسنة، أو أنَّها تشمل الحسنة والقبيحة؟

- **والصحيح: أن الْمُراد بِها فِي اللغة**: هي الطريقة سواء كانت حسنة، أو قبيحة، ومِمَّا يدل على ذلك: حديث النَّبِي ﷺ: «**من سن فِي الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بِها، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بِها**». رواه مسلم.

حيث قسَّم النَّبِي ﷺ السنة إلَى: سنة حسنة، وسنة سيئة.

- **أما تعريف السنة فِي الاصطلاح**: فلها اصطلاح عند الْمُحدثين، كما أن لَها اصطلاحًا عند الأصوليين، وكذلك عند الفقهاء.

- **ففي اصطلاح الْمُحدثين**: هي ما أُثر عن النَّبِي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة: خِلقية، أو خُلقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[٢].

---

(١) "النهاية" لابن الأثير (٢/٤٠٩)، و"لسان العرب" (١٧/٨٩).

(٢) قواعد التحديث للقاسمي (ص ٦٤).

- **بينما هي فِي اصطلاح الأصوليين:** تطلق على ما جاء منقولاً عن النَّبي ﷺ ممَّا لَمْ يُنَص عليه فِي الكتاب العزيز، بل إنَّما نُصَّ عليه من جهته ﷺ كان بيانًا لِما فِي الكتاب أو لا[١].

وتطلق السنة فِي اصطلاح الفقهاء على ما ليس بواجب، فيقال: هذا الشيء سنة، أي: ليس بفرض ولا واجب، ولا مُحرم ولا مكروه[٢].

ولكن السنة عند كثير من السلف أوسع من ذلك؛ إذ يعنون بالسنة معنًى أوسع من معناها عند الْمُحدثين، وعند الأصوليين، وعند الفقهاء؛ إذ يعنون بالسنة موافقة الكتاب، وسنة رسول الله ﷺ وأصحابه سواء فِي أمور الاعتقادات، أو العبادات، ويقابلها البدعة.

فيقال: فلان على السنة؛ إذا كانت أعماله على وفق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ويقال: فلان على البدعة؛ إذا كان عمله مُخالفًا للكتاب والسنة، أو أحدهما.

- **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله-:** "ولفظ السنة فِي كلام السلف يتناول السنة فِي العبادات، وفِي الاعتقادات، وإن كان كثير مِمَّن صنف فِي السنة يقصدون الكلام فِي الاعتقادات"[٣].

- **ويقول -رحِمه الله- فِي الحموية:** "السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ اعتقادًا، واقتصادًا، وقولاً وعملاً"[٤].

- **ويقول ابن رجب -رحِمه الله-:** "وكثير من العلماء المتأخرين يَخص السنة

---

(١) انظر: "أصول الأحكام" للآمدي (١/١٦٩).

(٢) انظر: "شرح الكوكب المنير" (٢/١٦٠).

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص ٧٧).

(٤) "الحموية" (ص ٢).

بِما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنَّها أصل الدين، والمخالف لَها على خطر عظيم"(١).

قلت: فالسنة إذا أُطلقت فِي باب العقائد إنَّما يُقصد بِها: الدين كاملاً لا ما اصطلح عليه علماء الحديث، وعلماء الأصول وعلماء الفقه.

قال ابن رجب أيضًا: "السنة هي الطريق المسلوك، فيشمل ذلك: التمسك بِما كان عليه النَّبِيﷺ، وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال ..."(٢) إلخ.

---

(١) "جامع العلوم والحكم" (ص ٢٤٩).

ولذا كثرت المؤلفات على هذا المعنَى باسم السنة، مثل: "السنة" للإمام أحْمَد، و"السنة" لأبِي داود السجستانِي، و"السنة" لابن أبِي عاصم، و"السنة" لعبد الله ابن الإمام أحْمَد، و"السنة" لابن أبِي حاتِم الرازي، وغيرها.

(٢) "جامع العلوم والحكم" (ص ٢٦٢).

المسميات الشرعية لأهل السنة والجماعة

"أهل الشيء" هم أخص الناس به، يقالُ فِي اللغة: أهل الرجل أخص الناس به، وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يدين به، وأهل المذهب من يدين به.

فمعنَى أهل السنة: أخص الناس بِها، وأكثرهم تَمسكًا بِها واتباعًا لَها، قولاً وعملاً واعتقادًا.

وهذا اللفظ أصبح مصطلحًا يطلق ويراد به أحد معنيين:

الْمعنَى الأول: معنًى عام: ويدخل فيه جَميع من ينتسب للإسلام عدا الرافضة.

والْمعنَى الثانِي: معنًى أخص، وأضيق من المعنَى العام، ويراد به: أهل السنة الْمَحضة الخالصة من البدع، ويَخرج به سائر أهل الأهواء والبدع كالخوارج، والجهمية، والمرجئة، والشيعة، وغيرهم، من أهل البدع.

يقول شيخ الإسلام: "فلفظ أهل السنة يراد به: من أثبت خلافة الثلاثة، فيدخل فِي ذلك جَميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به: أهل الحديث والسنة الْمَحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالَى ويقول: إن القرآن غير مَخلوق، وأن الله يُرى فِي الآخرة، ويُثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة"[١].

إذن فأهل السنة: هم أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنَّهم تلقوا عنه مباشرة أصول

---

(١) "منهاج السنة" (١٦٣/٢).

الاعتقاد كما تلقوا أمور العبادة، فهم أعرف الخلق بسنة النَّبِي ﷺ، وأتبع لَها مِمَّن جاء بعدهم، وأهل السنة أيضًا هم التابعون لَهم بإحسان، المقتفون أثرهم فِي كل عصر ومصر، وعلى رأسهم: أهل الحديث والأثر.

ولَمَّا كان هذا اللقب "أهل السنة" يطلق على أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعهم على ما كانوا عليه من الهدي؛ تنازعت الطوائف هذا اللقب، ولكن العبرة بالحقائق، وليست بالدعاوى.

وإنه لَمَّا نشأت البدع فِي الإسلام، وتعددت فرق الضلال، وأخذ كلٌّ يدعو إلَى بدعته وهواه مع انتسابهم فِي الظاهر إلَى الإسلام؛ كان لابد لأهل الحق أن يُعرفوا بأسْماء تُميزهم عن أهل الابتداع والانْحراف فِي العقيدة، فظهرت حينئذٍ أسْماؤهم الشرعية المستمدة من الإسلام، فمن أسْمائهم: "أهل السنة والجماعة"، "الفرقة الناجية"، "الطائفة المنصورة"، "أهل الحديث والأثر"، "السلفيون".

والمتأمل فِي أسْمَائهم يظهر له أنَّها كلها تدل على الإسلام، فبعضها ثابت لَهم بالنص، والبعض حصل لَهم بسبب تَحقيقهم للإسلام تَحقيقًا صحيحًا، وهي تُخالف مسميات أهل البدع وألقابِهم.

فأسْماء أهل البدع وألقابُهم إما ترجع إلَى الانتساب لأشخاص، كالجهمية نسبة للجهم بن صفوان، والزيدية نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين، والكلابية نسبة إلى عبد الله بن كلاب، والكرامية نسبة إلَى مُحمَّد بن كرام، والأشعرية نسبة إلَى أبِي الحسن الأشعري.

وإما إلَى ألقاب مشتقة من أصل بدعهم، كالرافضة لرفضهم زيد بن علي، أو لرفضهم إمامة الشيخين، والنواصب لنصبهم العداء لأهل البيت، والقدرية لكلامهم فِي القدر، والصوفية للبسهم الصوف، والباطنية لزعمهم أن للنصوص

ظاهرًا وباطنًا، والمرجئة لإرجائهم الأعمال عن مسمى الإيْمان.

وإما أن هذه الألقاب ترجع إِلَى سبب خروج من تسمى بِها عن عقيدة المسلمين وجَماعتهم، كالخوارج لِخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبِي طالب ﷺ، والمعتزلة لاعتزال رئيسهم واصل بن عطاء مَجلس الحسن البصري(١).

قال الشيخ بكر أبو زيد فِي "حكم الانتماء إِلَى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية" (ص ٢١):

"لَما حصلت تلك الفرق منتسبة إِلَى الإسلام منشقة عن العمود الفقري للمسلمين؛ ظهرت ألقابُهم الشرعية المميزة لِجماعة المسلمين لنفي الفرق، والأهواء عنهم، سواءً ما كان لَهم من الأسْماء ثابتًا لَهم بأصل الشرع: الجماعة، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أو بواسطة التزامهم بالسنن أمام أهل البدع، ولِهذا حصل لَهم الربط بالصدر الأول فقيل لَهم: "السلف"، "أهل الحديث"، "أهل الأثر"، "أهل السنة والجماعة".

*** وهذه الألقاب الشريفة تُخالف أي لقب كان لأي فرقة كانت من وجوه:**

الأول: أنَّها نِسَبٌ لَمْ تنفصل -ولو للحظة- عن الأمة الإسلامية منذ تكوينها على منهاج النبوة، فهي تَحوي جَميع المسلمين على طريقة الرعيل الأول ومن يُقتدَى بِهم فِي تلقي العلم، وطريقة فهمه، وبطبيعة الدعوة إليه، وضرورة انْحصار الفرقة الناجية فِي "أهل السنة والجماعة" وهم أصحاب هذا المنهج، وهي لا تزال باقية إِلَى يوم القيامة؛ أخذًا من قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتِي منصورة على الْحَق**».

الثانِي: أنَّها تَحوي كل الإسلام: الكتاب والسنة، فهي لا تَختص برسم يُخالف

---

(١) انظر: "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع"، للأخ الفاضل الدكتور إبراهيم الرحيلي (١/٤٥، ٤٦)، وهو كتاب قيم، ومهم فِي بابه.

الكتاب والسنة زيادةً أو نقصًا.

الثالث: أنَّها ألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة، ومنها ما لَمْ يبرز إلاَّ فِي مواجهة أهل الأهواء والفرق الضالة لرد بدعتهم، والتميز عنهم، وإبعاد الخلط بِهم ولِمنابذتِهم، فلما ظهرت البدعة تَميَّزوا بـ"السنة"، ولَمَّا حُكِّم الرأي تَميَّزوا بـ"الحديث والأثر"، ولَما فشت البدع والأهواء فِي الخلوف تَميَّزوا بـ"هدي السلف" وهكذا ..

الرابع: أن عقد الولاء والبراء والموالاة والمعاداة لديهم هو على الإسلام لا على رسم باسم معيَّن، ولا على رسم مُجرد، إنَّما هو الكتاب والسنة فحسب(١).

الْخَامس: أن هذه الألقاب لَمْ تكن داعية لَهم للتعصب لشخصٍ دون رسول الله ﷺ.

السادس: أن هذه الألقاب لا تُفضي إلَى بدعة، ولا معصية، ولا عصبية لشخص معيَّن، ولا لطائفة معيَّنة". اهـ.

*** ولنشرع فِي التعريف بِمسميات أهل السنة والْجَماعة باختصار:**

- أولاً: أهل السنة والجماعة:

هذا الاسم من الأسْماء المشهورة الَّتِي عُرف بِها أهل السنة، وهو يُطلق مقرونًا بالسنة؛ فيقال: "أهل السنة والجماعة"، وقد يرد منفردًا، فيقال: "أهل السنة"، ويقال: "أهل الجماعة" وهو قليل، والغالب اقترانه بالسنة.

قال ابن تيمية -رحِمه الله-: "فإن السنة مقرونة بالجماعة؛ كما أن البدعة مقرونة بالفرقة، فيقال: أهل السنة والجماعة؛ كما يقال: أهل البدعة والفرقة"(٢).

ومن أسباب تسميتهم بِهذا الاسم "أهل السنة والجماعة" أنَّهم قد تَميزوا بِميزتين

(١) وفق فهم السلف.

(٢) "الاستقامة" (١/٤٢).

عظيمتين:

الأولَى: تَمسكهم بسنة الرسول ﷺ حَتَّى صاروا أهلها، بِخلاف سائر الفرق فهي تتمسك بآرائها وأهوائها، وأقوال قادتها فهي لا تُنسب إلَى السنة، وإنَّما تُنسب إلَى بدعها، أو إلَى أئمتهم أو إلَى أفعالِهم كما تقدم.

والْمِيزة الثانية: أنَّهم أهل الجماعة؛ لاجتماعهم على الحق، وعدم تفرقهم، بِخلاف الفرق الأخرى، فإنَّهم لا يَجتمعون على حق، وإنَّما يتبعون أهواءهم فلا حق يَجمعهم.

يقول شيخ الإسلام فِي تعريف أهل السنة: "هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان"[١].

- ثانيًا: أهل الحديث:

من الأسْمَاء الَّتِي يُسمى بِها أهل السنة والجماعة: "أهل الحديث"، وهذا يرد كثيرًا فِي كلام كثير من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره من أهل العلم قبله وبعده يذكرون أهل الحديث، وأهل السنة مُبيِّنين اعتقادهم، ولا يُفرِّقون بين الْمصطلحين.

فهذا الإمام الصابونِي يقول فِي عقيدته: "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة –حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتَهم– يشهدون لله تعالَى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ...

إلَى أن يقول: وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه،

---

(١) "مَجموع الفتاوى" (٢/٣٧٥).

ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم"[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة"[٢].

فالمراد بأهل الحديث فِي كتب عقائد السلف: هم أهل السنة.

يقول ابن تيمية: "ونَحن لا نعنِي بأهل الحديث: المقتصرين على سَماعه، أو كتابته وروايته، بل نعنِي بِهم: كل من كان أحق بِحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرًا وباطنًا، واتباعه باطنًا وظاهرًا، وكذلك أهل القرآن"[٣].

- ثالثًا: الأثرية أو أهل الأثر:

وهذا الاسم يطلقه كثير من أهل العلم، ويريدون به أهل السنة والحديث:

قال ابن أبِي حاتِم الرازي: "مذهبنا واختيارنا: اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، والتمسك بِمذهب أهل الأثر، مثل: أبِي عبد الله أحمد بن حنبل"[٤].

وقال فِي موضع آخر: "وعلامة أهل البدع: الوقيعة فِي أهل الأثر، وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية، وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مُجبرة، وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة مُخالفة ونقصانية، وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة ناصبة"[٥].

وورد ذلك فِي كلام كثير من الأئمة مثل: أبِي نصر السجزي، وابن تيمية،

---

(١) "عقيدة السلف أصحاب الحديث" (ص ٤٢٣).

(٢) "درء تعارض العقل والنقل" (١/٢٠٣).

(٣) "مَجموع الفتاوى" (٤/٩٥).

(٤) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/١٧٩).

(٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

والسفاريني، وغيرهم من أهل العلم[١] وسُمُّوا بذلك نسبة إلى الأثر، وفي الاصطلاح: الأثر مرادفٌ للحديث.

ومعنى أهل الأثر كما يقول السفاريني: "أي: الذين إنَّما يأخذون عقيدتَهم من المأثور عن الله -جل شأنه- في كتابه، أو في سنة النَّبي ﷺ، أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لَهم الفخام ..."[٢]. وهذا بمعنى "أهل السنة" في إطلاق السلف[٣].

- رابعًا: الفرقة الناجية:

أي: الناجية من النار؛ حيث استثناها النَّبي ﷺ لَما ذكر الفرق وقال: «**كلها في النار إلا واحدة**». يعني: ليست في النار[٤].

قال الشيخ حافظ حكمي في معارج القبول[٥]: "وقد أخبر الصادق المصدوق أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه".

- خامسًا: الطائفة المنصورة:

وهذه التسمية مأخوذة من قوله ﷺ في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «**لا**

---

(١) انظر: "الرد على من أنكر الحرف والصوت" (ص ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩)، و"درء التعارض" (٦/٢٦٦)، و"لوامع الأنوار" (١/٦٤).

(٢) "لوامع الأنوار" (١/٦٤).

(٣) انظر: "وسطية أهل السنة بين الفرق" (ص ١١٩).

(٤) أخذًا من قوله ﷺ في حديث الافتراق: «... **وإن أمتي ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**». وفي رواية أخرى: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

(٥) (١/١٩).

تزال طائفة من أمتي ظاهرين حَتَّى يأتيهم أمر الله، وهم ظاهرون»[١].

- سادسًا: السلفية أو السلفيون:

نسبة للسلف، والسلف في اللغة: جَمع سالف، والسالف: المتقدم، والسلف: الجماعة المتقدمون، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [الزخرف:٥٦].

قال البغوي في تفسيرها: ". . . والسلف: من تقدم من الآباء فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون".

وقال ابن الأثير: "سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولِهذا سُمِّي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالِح". هذا في اللغة.

أما في الاصطلاح: فما المقصود بالسلف الصالِح؟ وما منهجهم في العقيدة؟ وما أبرز صفات منهجهم؟ هذا ما سنعرفه -إن شاء الله- في الدروس التالية.

❊ ❊ ❊

(١) وقد أخطأ من فرَّق بين الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، وإنَّما هما شيء واحد.

١- المقصود بالسلف

تقدم فيما مضى التعريف اللغوي بِمعنَى السلف، وأما المعنَى المقصود بالسلف فِي الاصطلاح فقد اختُلف فِي ذلك على أقوال عدة، أهمها:

١- أنَّهم الصحابة فقط.

٢- أنَّهم الصحابة والتابعون.

٣- أنَّهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين.

٤- أن السلف من كان قبل الخمسمائة، ويزعم أصحاب هذا القول أنه مذهب يُحدد بفترة زمنية معينة لا يتعداها، ثُمَّ إن الفكر الإسلامي تطور بعد ذلك على يد رجاله.

فهل التحديد الزمنِي كافٍ لتحديد مفهوم السلف، إذا قلنا بأن المرادف بالسلف زمنيًّا هم أهل القرون الثلاثة المفضلة استئناسًا بالأحاديث الواردة فِي تعيين القرون المفضلة؛ فهل نعتبر كل من عاش فِي هذه القرون سلفًا يُقتدى به؟

لا شك أن ذلك غير صحيح، وأن الإجابة على هذا التساؤل هي النفي؛ فقد خرجت كثير من الفرق والطوائف فِي هذه الفترة الزمنية.

فليس السبق الزمنِي كافيًا فِي تعيين السلف؛ بل لابد أن يضاف إلَى هذا السبق الزمنِي موافقة الرأي للكتاب والسنة؛ فمن خالف رأيه الكتاب والسنة

فليس بسلفي، وإن عاش بين ظهراني الصحابة والتابعين[(١)].

إذن فوجود شخص ما فِي هذا الزمن لا يكفي للحكم عليه بأنه على مذهب السلف ما لَمْ يكن موافقًا للكتاب والسنة فِي أقواله وأفعاله، متبعًا لا مبتدعًا؛ لذلك فإن كثيرًا من العلماء يقيد هذا المصطلح عند استعماله فيقول: السلف الصالِح.

قال الإمام السفارينِي: "المراد بِمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-، وأعيان التابعين لَهم بإحسان، وأتباعهم وأئمة الدين مِمَّن شُهِدَ له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه فِي الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف دون من رُمي ببدعة، أو شُهِر بلقب غير مُرضٍ، مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونَحو هؤلاء"[(٢)].

فقد احترز هذا الإمام: فقيَّد السلف الذي يقتدى به بأن يكون مِمَّن شُهد له بالإمامة، ولَمْ يُرمَ ببدعة؛ فليس كل سلف يُقتدى به، وإنَّما تكون القدوة والأسوة بأولئك السلف الأخيار من أصحاب رسول الله ﷺ، وأئمة التابعين وتابعيهم، الذين شُهد لَهم بالخيرية، والذين عُرف تَمسكهم بالسنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة، والتحذير منها، وقد أمرنا الله باتباع سبيل أصحاب رسول الله ﷺ، واقتفاء أثرهم وسلوك منهجهم، فقال ﷻ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥].

قال الإمام ابن القيم: "وكل من الصحابة منيب إلَى الله؛ فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله"[(٣)].

(١) انظر: "وسطية أهل السنة بين الفرق" للدكتور مُحمَّد باكريم (ص ٩٦-١٠١) بتصرف يسير، وهو كتاب قيم.
(٢) "لوامع الأنوار" (١/ ٢٠).
(٣) "إعلام الموقعين" (٤/ ١٢٠).

وقد رضي الله عنهم، وعمَّن اتبعهم بإحسان، قال تعالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

إذن فليس من الابتداع فِي شيء أن يتسَمَّى أهل السنة بالسلفيين؛ بل إن مصطلح السلف يساوي تَمامًا مصطلح أهل السنة والجماعة، ويدرك ذلك بتأمل اجتماع كل من المصطلحين فِي حق الصحابة، فهم السلف، وهم أهل السنة والجماعة(١).

فكما يصح لنا القول: "سُنِّي" نسبة إلَى أهل السنة؛ يصح لنا القول: "سلفي" نسبة إلَى السلف، لا فرق إذن؛ فإنه بعد وجود الفرق وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف منطبقًا على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج طبقًا لفهم الصحابة والقرون المفضلة، ويكون هذا المصطلح "السلف" مرادفًا للأسْماء الشرعية الأخرى لأهل السنة كما تقدم.

---

(١) "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" (١/٦٣).

٢- إظهار مذهب السلف وبيان موقفهم من أهل البدع

قال الرسول ﷺ: «**عليكم بسنتِي، وسنة الْخُلفاء الراشدين الْمَهديين؛ تَمسكوا بِها، وعَضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(١).

وقال ﷺ في وصف الفرقة الناجية -وقد قيل له: من هي يا رسول الله؟-: «**ما أنا عليه وأصحابِي**».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان مستنًّا فليستن بِمن قد مات، أولئك أصحاب مُحمَّد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، وأبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم»(٢).

وقال الإمام أحْمَد: "أصول السنة عندنا: التمسك بِما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بِهم، وترك البدع"(٣).

وما زال أئمة السنة وعلماؤها جيلاً بعد جيل يدعون إلَى اتباع السلف

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، وابن حبان، وغيرهم، وهو حديث صحيح.

(٢) "شرح السنة" للبغوي (١/٢١٤).

(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (١/١٥٦).

الصالح والاقتداء بهم، وسلوك طريقهم، وما برح أهل السنة يستدلون على دينهم وعقائدهم بما جاء في كتاب الله، وبما صح عن رسول الله ﷺ، فإن لَمْ يَجدوا فيهما فبما ثبت عن السلف الصالحين من الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين المعروف عنهم الإمامة في السنة.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]: "فللناس في هذا مقالات كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنَّما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق ..."(١).

وقال الإمام ابن أبي العز الْحَنفي شارح الطحاوية: "وقد أحببت أن أشرحها سالكًا طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على منوالهم متطفلاً عليهم؛ لعلي أنضم في سلكهم، وأدخل في عدادهم"(٢).

وقال الإمام الذهبي في مقدمة كتابه القيم "العلو للعلي الغفار": فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف؛ فقف مع نصوص القرآن والسنن، ثُمَّ انظر ما قاله الصحابة والتابعون، وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما تسكت بحلم"(٣).

فقد احتاج أهل السنة إلى بيان إظهار مذهب السلف الصالح الذين لا يشك أحد في أنَّهم أهل السنة المعروفون بها -احتاجوا إلى إظهار ذلك لَمَّا بزغت

---

(١) "تفسير ابن كثير" (٢/٤٢٢).

(٢) "شرح العقيدة الطحاوية" (ص ٧٤).

(٣) (ص ١٦)، وانظر لما تقدم: "وسطية أهل السنة بين الفرق" تأليف الدكتور الفاضل مُحمَّد باكريم مُحمَّد باعبد الله (ص ١٠٢-١٠٥).

قرون أهل البدع والخلاف؛ فخرجت تلك الطوائف والفرق وكانوا -أي: أصحاب هذه الفرق- يرون أَنَّهم على حق، وأَنَّهم الفرقة الناجية.

ويستدلون على أقوالِهم ومذاهبهم بنصوص الكتاب والسنة، يُنْزلونَها على آرائهم، ويصرفونَها عمَّا دلت عليه ظواهرها، ويدَّعون أَنَّهم متبعون للكتاب والسنة، ورُبَّما التبس الأمر على عامة الناس، فهنا احتاج الناس إِلَى إظهار مذهب السلف وبيانه؛ ولذا كان أهل العلم من الأئمة حريصين على أن يبينوا أن ما ذكروه، وما قالوه من مسائل الاعتقاد هو قول من سبقهم من أئمة السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ ليعلم أن ما خالف ذلك ليس هو من قولِهم، ولا من هديهم، وأنه من أقوال أهل البدع والخلاف[١].

❀❀❀

(١) انظر: "وسطية أهل السنة بين الفرق" (ص ١٠٥-١٠٦) بتصرف يسير.

٣- جواز الانتساب إلى السلف والتلقب بالسلفية

من المعروف أن الدعوة إِلَى اتباع السلف، أو الدعوة إِلَى السلفية إِنَّما هي دعوة إِلَى الإسلام الحق، وإِلَى السنة الْمَحضة، ودعوة إِلَى العودة إِلَى الإسلام كما أُنزل على النَّبي ﷺ وتلقاه عنه أصحابه الكرام -رضوان الله عليهم- فلا شك أن هذه الدعوة دعوة حق، والانتساب إليها حق.

وقد كان لأئمة الإسلام من أهل السنة الأثر الكبير فِي الدعوة إِلَى السنة، والعودة إِلَى طريقة السلف ومنهجهم، والاقتداء بِهم، ومن هؤلاء الأئمة: إمام أهل السنة والجماعة: الإمام أحْمَد بن حنبل، والإمام أبو بكر مُحمَّد بن إسحاق بن خزيْمة، والإمام أبو بكر مُحمَّد بن الحسين الآجري، والإمام أبو عبد الله بن بطة العُكبري، والإمام أبو القاسم إسْمَاعيل بن مُحمَّد الأصبهانِي.

ثُمَّ شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيم، ثُمَّ شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده، مِمَّا أدى إِلَى ظهور اتِّجاه سلفي على مر التاريخ يَستقي أُسس دينه وعقيدته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالِح من الصحابة والتابعين، والتابعين لَهم من أهل القرون الثلاثة المشهود لَها بالخيرية، ويقاوم كل تيار بدعي يَخرج عن هذه الأسس.

إذا عُرف ذلك: فنعود إِلَى العنوان، وهو: "جواز الانتساب إِلَى السلف، والتلقب بالسلفية".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يَجب قبول ذلك منه؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا". الفتاوى (١٤٩/٤).

وقال السمعاني فِي "الأنساب" (٢٧٣/٣): "السلفي -بفتح السين، واللام، وفِي آخرها الفاء- هذه النسبة إلَى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سَمعت منهم".

وقال ابن الأثير عقب كلام السمعاني السابق: "وعُرف به جَماعة".

وأطلق شيخ الإسلام ابن تيمية لقب السلفية فِي بعض مصنفاته على أولئك الذين قالوا بقول السلف فِي الفوقية[١].

وقال الذهبي -رحِمه الله- فِي "السير" (٣٨٠/١٢): "فالذي يَحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيًّا ذكيًّا . . . سلفيًّا".

وقال -رحِمه الله- فِي "السير" (٤٥٧/١٦) **عن الدارقطني -رحِمه الله-**: "لَمْ يدخل الرجل أبدًا فِي علم الكلام، ولا الجدال، ولا خاض فِي ذلك؛ بل كان سلفيًّا".

قلت: وفِي عصرنا الحاضر أطلق هذه النسبة وهذا اللقب علماء أفاضل عُرفوا بالتمسك بالسنة والذب عنها، كالشيخ عبد الرحمن المعلمي -رحِمه الله- (ت ١٣٨٦هـ) فِي كتابه "القائد إلَى تصحيح العقائد"، والشيخ الإمام العالِم القدوة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحِمه الله- فِي رسالته "تنبيهات هامة على ما كتبه مُحمَّد علي الصابونِي فِي صفات الله عَزَّ وَجَلَّ".

وقد سئل الشيخ عبد العزيز -رحِمه الله- هذا السؤال: ما تقول فيمن تسمَّى بالسلفي والأثري، هل هي تزكية؟

فأجاب -رحِمه الله-: إذا كان صادقًا أنه أثري أو سلفي لا بأس، مثل ما كان

---

(١) كما أطلقه على عدد من العلماء، انظر: "بيان تلبيس الجهمية" (١٢٢/١)، و"درء تعارض العقل والنقل" (١٣٤/٧، ٢٠٧/٧).

السلف يقولون: فلان سلفي، فلان أثري، تزكية لابد منها، تزكية واجبة. اهـ[(١)].

والشيخ العالِم العلامة مُحمَّد ناصر الدين الألباني -رحِمه الله- فِي كتابه "مُختصر العلو"، ومقدمته لشرح العقيدة الطحاوية، وكتابه "التوسل".

والشيخ العلامة صالِح بن فوزان الفوزان كما فِي "الأجوبة المفيدة" (ص ١٠٣) سئل: ما هي السلفية؟ وهل يَجب سلوك منهجها والتمسك بِها؟

فقال: السلفية هي السير على منهج السلف من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة فِي العقيدة والفهم والسلوك، ويَجب على المسلم سلوك هذا المنهج.

ومن هؤلاء أيضًا: الشيخ الفاضل علي بن ناصر فقيهي فِي كتابه "الفتح المبين بالرد على نقد عبد الله الغماري لكتاب الأربعين".

فهؤلاء الأفاضل من أهل العلم وغيرهم لَمْ يروا بأسًا فِي إطلاق لقب: "سلفي، أو السلفية، أو السلفيين"، وأن المقصود بذلك: هو من سار على منهاج السلف وطريقتهم، وقد عدَّ بعض الكُتَّاب الْمُحدثين مِمَّن كتب فِي المذاهب الإسلامية "السلفيين أتباعًا لِمن سبقهم من الأئمة"، طائفة مُميزة عُرفت بِهذا الاسم، كمحمد أبِي زهرة، ومصطفى الشكعة، ومُحمَّد بن سعيد البوطي، وغيرهم، وعدُّوها طائفة مُميزة عُرفت بِهذا الاسم.

وقد أشاروا إلَى التطور التاريْخي لِمسيرة هذه الطائفة، وأنَّها امتداد لِمدرسة أحْمَد بن حنبل، تَجددت على عهد ابن تيمية، والإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب، وزعموا أن السلفيين هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب.

ومنهم من يَعُد المذهب السلفي مرحلة زمنية لا مذهب إسلامي، كالدكتور مُحمَّد سعيد رمضان البوطي.

---

(١) من مُحاضرة بعنوان "حق المسلم" أُلقيت بالطائف.

وسواء صح أن دعاة العودة إلَى مذهب السلف هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب، أم أطلقه عليهم غيرهم، ثُمَّ عُرفوا به، فإنه لَمْ يُعرف من الأئمة المتقدمين من أهل السنة، أو من تبعهم على منهجهم إلَى عصرنا الحاضر من أنكر عليهم ذلك أو اعترض على إطلاق هذا اللقب عليهم، وأقل ما يُقال فِي جواز التلقب بذلك، والانتساب إليه أنه اصطلاح، ولا مشاحة فِي الاصطلاح[١].

ثُمَّ إن العبرة هي بالحقائق والمعانِي، وليست بالألفاظ، وقد تقدم من المعانِي ما يدل على أن المقصود بذلك هو من سار على منهج السلف الصالِح، واتبع طريقتهم، فلا يكون هناك أدنى فرق بين التسمي بالسلفية، أو بأهل السنة كما تقدم.

---

(١) انظر: "وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق" (ص ١١١) بتصرف يسير.

٤- ذكر بعض الأدلة الدالة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم مذهبهم

قال الله تعالَى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥]. فقد أمرنا الله ﷻ باتباع سبيل أصحاب رسول الله ﷺ واقتفاء أثرهم وسلوك منهجهم.

قال الإمام ابن القيم بعدما ذكر هذه الآية: وكلٌّ من الصحابة منيب إلَى الله تعالَى فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله، وحذرنا الله تبارك وتعالى من مُخالفة سبيلهم، وتوعد سبحانه مُخالفهم بجهنم، فقال تعالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وأخبرنا الله تبارك وتعالى عن رضاه عمن اتبعهم بإحسان، وأعدَّ لَهم الثواب العظيم، فقال تعالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وكما أنه توعد من اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم؛ فقد وعد متبع سبيلهم بالجنة والرضوان.

وأمر النَّبي ﷺ أمته بأن يتبعوا سنته، وسنة الخلفاء من بعده.

فقال ﷺ: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الْخُلفاء**

الراشدين الْمَهديين من بعدي، تَمسكوا بِها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة؛ وكل بدعة ضلالة». رواه أحْمَد، وأبو داود.

وقال ﷺ: «**خير الناس قرنِي، ثُمَّ الذين يلونَهم، ثُمَّ الذين يلونَهم...**». الحديث.

ووصف ﷺ الفرقة الناجية فِي حديث الافتراق بقوله ﷺ: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابِي**». فمن كان على مثل ما كانوا عليه فهو من الفرقة الناجية، ومن خالفهم وابتعد عنهم فيكون من أهل الوعيد.

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم».

وقال: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تَمسكنا بالأثر».

وقال أُبَي بن كعب ﵁: «عليكم بالسبيل والسنة؛ فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرَّحْمَن؛ ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدًا، وإن اقتصادًا فِي سنة وخير، خيرٌ من اجتهاد فِي خلاف سبيل وسنة».

وقال أبو العالية: "عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا".

وقال الأوزاعي: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بِما قالوا، وكُفَّ عما كَفُّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالِح؛ فإنه يسعك ما وسعهم".

وقال أيضًا: "عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك القول".

وقال الإمام أحْمَد: "أصول السنة عندنا: التمسك بِما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بِهم، وترك البدع".

وما زال العلماء من أئمة السنة جيلاً بعد جيل يدعون إلَى اتباع السلف الصالِح، والاقتداء بِهم، وسلوك طريقهم، واتباع أثرهم.

٥- منهج السلف في العقيدة

※ يتلخص منهجهم فيما يلي:

١- حصرهم مصدر التلقي في باب الاعتقاد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهمهم للنصوص على ضوء فهم السلف الصالح.

٢- احتجاجهم بالسنة الصحيحة في العقيدة، وسواء كانت هذه السنة الصحيحة متواترة أم آحادًا.

٣- التسليم بما جاء به الوحي، وعدم رده بالعقل، وعدم الخوض في الأمور الغيبية الَّتي لا مَجال للعقل فيها.

٤- عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة.

٥- رفض التأويل الباطل.

٦- الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة[١].

فهذه العقيدة مستقاة من النبع الصافي: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بعيدة عن الأهواء والشبه، فالمتمسك بها يكون معظمًا لنصوص الكتاب والسنة؛ لأنه يعلم أن كل ما فيها حق وصواب.

قال الإمام البربَهاري -رحِمه الله-: "واعلم -رحِمك الله- أن الدين إنَّما جاء

---

(١) ما تقدم ملخص من "دروس في المنهج" للشيخ الفاضل عبد الله العبيلان، وهذا معلوم باستقراء منهج السلف في العقيدة.

من قِبَل الله -تبارك وتعالَى- لَم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله؛ فلا تتبع شيئًا بِهواك فتمرق من الدين؛ فتخرج من الإسلام؛ فإنه لا حُجَّة لك، فقد بيَّن رسول الله ﷺ لأمته السنة وأوضحها لأصحابه، وهم الجماعة وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله"[١].

وقد قال قبل ذلك -رحِمه الله- فِي (ص ٦٥) **من كتاب شرح السنة**: "والأساس الذي تُبنَى عليه الجماعة -وهم أصحاب مُحمَّد ﷺ وهم أهل السنة والجماعة- فمن لَمْ يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة . . .".

وقال -أي: الإمام البربَهاري-: "قال عمر بن الخطاب ﷺ: لا عذر لأحد فِي ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا فِي هدى تركه حسبه ضلالة، فقد بُيِّنت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر، وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس، فعَلَى الناس الاتباع"[٢].

قلت: فمن مُميزات الْمَنهج السلفي:

١- ثبات أهله على الحق وعدم تقلبهم كما هي عادة أهل الأهواء.

قال حذيفة لأبِي مسعود: "إن الضلالة: أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون فِي الدين، فإن دين الله واحد".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وبالجملة، فالثبات والاستقرار فِي أهل الحديث والسنة أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة"[٣].

وقال أيضًا: "إن ما عند عوام المسلمين وعلمائهم أهل السنة والجماعة من

(١) "شرح السنة" (ص ٦٦).

(٢) "شرح السنة" (ص ٦٦).

(٣) "مَجموع الفتاوى" (٤/٥١).

المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم بالحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين"(١).

٢- **ومن مُميزاته أيضًا:** اتفاق أهله على العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان(٢).

٣- وأنَّهم أعلم الناس بأحوال النَّبي ﷺ وأفعاله وأقواله، وأعظمهم تَمييزًا بين صحيحها وسقيمها؛ لذلك فهم أشد الناس حبًّا للسنة، وأحرصهم على اتباعها، وأكثرهم موالاة لأهلها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فإنه متَى كان الرسول ﷺ أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق وأقومهم قولاً وحالاً؛ لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له، واقتداء به أفضل الخلق"(٣).

٤- اعتقادهم أن طريقة السلف الصالِح هي الأسلم، والأعلم، والأحكم؛ لا كما يدعيه أهل الكلام أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

وقد رد شيخ الإسلام هذه الفرية، فقال: "لقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا فِي تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف بالكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف"(٤).

٥- **ومن مُميزاتِهم:** حرصهم على نشر العقيدة الصحيحة والدين القويْم، وتعليم الناس ونصحهم، والرد على المخالفين والمبتدعين.

---

(١) "مَجموع الفتاوى" (١٩/٤).

(٢) انظر: "الحجة" لقوام السنة (٢/٢٢٥).

(٣) "مَجموع الفتاوى" (٤/١٤٠-١٤١).

(٤) "مَجموع الفتاوى" (٥/٩).

٦- وسطيتهم بين الفرق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أهل السنة فِي الإسلام كأهل الإسلام بين الملل".

وقال أيضًا: "فهم وسط فِي باب أسْماء الله ﷻ بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط فِي باب أفعال الله تعالَى بين القدرية والجبرية، وفِي باب الوعيد بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفِي باب أسْمَاء الإيْمَان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفِي أصحاب النَّبِي ﷺ بين الروافض والخوارج"[1].

---

(١) "مَجموع الفتاوى" (١٤١/٣)، وانظر: "وسطية أهل السنة بين الفرق" (ص ٢٣٥ وما بعدها)، و"دروس فِي المنهج" للشيخ عبد الله العبيلان (ص ٧٠-٧٣).

٦- منهج أهل البدع والأهواء

تقدم ذكر منهج السلف فِي العقيدة، وأهم مُميزاته، وأن أهم ما يُميز المنهج السَّلفي فِي العقيدة: هو حصر التلقي فِي كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأن يكون ذلك مُقيدًا بفهم السلف الصالِح.

وعلى العكس من ذلك منهج أهل الأهواء والبدع، فإن مصدر التلقي عندهم ليس الكتاب والسنة، وإنَّما هو ما ابتدعه أئمتهم وشيوخهم ثُمَّ تأويل الكتاب أو السنة إلَى ما يوافق أهواءهم، واعتمادهم على العقل، وعلى الأحاديث الضعيفة والواهية والمكذوبة على رسول الله ﷺ، واتباعهم للمتشابه، وتَحريفهم للأدلة وتأويلها تأويلاً فاسدًا.

يقول ابن القيم -رحِمه الله-: "وبالجملة؛ فافتراق أهل الكتاب وافتراق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة إنَّما أوجبه التأويل"(١).

ويقول ابن أبِي العز الْحَنفي: "وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد"(٢).

فهذا المنهج الذي سلكه أهل الأهواء والبدع مُخالف لِمنهج أهل السنة والجماعة فِي النظر والاستدلال، وهو من أعظم عوامل تفرق الأمة الإسلامية.

---

(١) "إعلام الموقعين" (٣١٧/٤).

(٢) "شرح العقيدة الطحاوية" (ص ١٨٩).

٧- طريق الخلاص والنجاة هو بالاتبـاع وتـرك الابتـداع

قال شيخ الإسلام فِي كتاب "العبودية": "وجِمَاع الدين أصلان: ألاَّ نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بِما شرع"(١).

لا نعبده بالبدع كما قال تعالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

فقد أمر الله ﷻ فِي هذه الآية أن يكون العمل صالِحًا، أي: موافقًا للسنة، ثُمَّ أمر أن يُخلصه صاحبه لله.

وقال الْحَافظ ابن كثير فِي تفسيره: "وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ"(٢).

وقد روي مثل هذا عن القاضي عياض -رحِمه الله- وغيره.

ومِمَّا تقدم يتبين أنه لابد لصحة أي عمل نريد أن نتقرب به إلَى الله من شرطين أساسيين، ولابد من وجودهما مُجتمعين، ولا ينفك أحدهُما عن الآخر وهُما:

١- إخلاص العبادة لله وحده.

٢- وتَجريد المتابعة لرسوله ﷺ.

---

(١) "العبودية" (ص ٣١).

(٢) "تفسير ابن كثير" (٣/١٠٦).

قال تعالَى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

وقال تعالَى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص:٧٧].

وقال ﷺ فِي الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه: «**أنا أغنَى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[١].

فالإخلاص لا يتأتى مع الشرك، أو الرياء، أو إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ولابد أن يكون العامل قد قصد بعمله وجه الله ﷻ وحده[٢].

هذا بالنسبة لِما يتعلق بالشرط الأول.

وأما الشرط الثانِي: فمعناه: أن يكون العمل الذي نتقرب به إلَى الله موافقًا لِما شرعه الله فِي كتابه، أو سنَّه رسوله ﷺ فِي سننه[٣].

قال تعالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣]. فقد أكمل الله لنا الدين قبل أن ينتقل الرسول ﷺ إلَى الرفيق الأعلى، فليس هو بِحاجة إلَى من يزيد وينقص فيه.

وقد جاءت نصوص كثيرة تأمر بالاتباع، وتُحذر من الابتداع والإحداث فِي الدين:

قال تعالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال تعالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر:٧].

وقال تعالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

---

(١) أخرجه مسلم فِي كتاب الزهد.

(٢) "مذكرة فِي العقيدة" للدكتور صالِح بن سعد السحيمي (ص ١٠).

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها.

ومن السنة: أحاديث كثيرة، منها: قوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الْخُلفاء الراشدين الْمَهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فِي النار**»(١).

وقوله ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تَمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتِي**»(٢).

وقوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٣).

وقد أمر الله ﷻ الأمة بالاجتماع واتِّحاد الكلمة على أن يكون الأساس لِهذا الاجتماع هو: الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ونَهى عن التفرق وبيَّن خطورته على الأمة، وليتحقق هذا الأمر فقد أمرنا بالتحاكم إلَى كتاب الله فِي الأصول والفروع، ونُهينا عن كل سبب يؤدي إلَى التفرق(٤).

قال الله تعالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وحبل الله: هو عهد الله، وهو القرآن كما قال المفسرون، وقد أمر الله بالجماعة، ونَهى عن الفرقة والاختلاف كما قال تعالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنة، وإن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تَحل مُخالفته، وأن نص رسول الله ﷺ على حكم الشيء كنص الله تعالَى، لا رخصة لأحد فِي تركه، ولا يَجوز تقديْم

(١) تقدم تَخريْجه (ص٢٠ و٣٩).

(٢) رواه مالك فِي "الموطأ"، وأبو داود، وابن ماجه، وهو حديث صحيح.

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر: "أصول الإيْمان فِي ضوء الكتاب والسنة" (ص ٢٩٣).

قول أحد على قول الله[١].

قال تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠].

وقد أمرنا الله عند التنازع بالرد إلَى كتابه، وإلَى سنة رسول الله ﷺ، قال تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

قال ابن كثير: "﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾: فاتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: خذوا سنته، أي: اتبعوا سنته، ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾. أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: إلَى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أنه يرد المتنازع فيه إلَى الكتاب والسنة[٢].

كما قال تعالَى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى:١٠]. فما حكم فيه الكتاب والسنة، وشهدا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

ولِهذا قال تعالَى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ أي: ردوا الفصل فِي الخصومات والجهالات إلَى الكتاب والسنة، ومَنْ لا يرجع إليها فِي ذلك فليس يؤمن بالله واليوم الآخر.

ثُمَّ إن الله قد ذم التفرق، ونَهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه، وأنه من أعظم أسباب الخذلان فِي الدنيا والعذاب فِي الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

(١) انظر: "أصول الإيْمان" (ص ٢٩٤-٢٩٥).

(٢) انظر: كتاب "أصول الإيْمان" (ص ٢٩٤).

تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ [آل عمران:١٠٥-١٠٦].

قال ابن عباس: «تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»(١).

وقال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال ﷺ: **«ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإنَّ هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين ملة، اثنتان وسبعون فِي النار، وواحدة فِي الْجَنة، وهي الْجَماعة»**(٢).

فقد أخبر النَّبِي ﷺ بافتراق أمته على ثلاثٍ وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فِي النار، وواحدة فِي الجنة، والَّتِي فِي الجنة هي الَّتِي قال عنها النَّبِي ﷺ: **«ما أنا عليه وأصحابِي»**.

وإن من أسباب هلاك الأمم السابقة: هو التفرق وكثرة الاختلاف، لاسيما الاختلاف فِي الكتاب الْمُنَزَّل عليهم، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من ذلك، فقال: **«ذرونِي ما تركتكم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالِهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نَهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**(٣).

وإن طريق الْخَلاص من الفرقة والاختلاف: هو باتباع طريق الفرقة الناجية المنصورة وهي الجماعة، وهم الذين يسيرون على وفق منهج النَّبِي ﷺ وأصحابه، لا يعدلون

(١) "شرح أصول السنة" للالكائي (٧٢/١).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، وغيرهما.

(٣) متفق عليه.

عن ذلك، ولا يَحيدون عنه، إن طريق الخلاص هو اتباع السلف الصالِح قولاً وعملاً واعتقادًا، وعدم مُخالفتهم أو الشذوذ عنهم(١).

قال تعالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فاتباع سبيل المؤمنين -وهم الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان- هو سبيل النجاة(٢).

والاتباع إنَّما يكون صحيحًا بثلاثة أمور تتلخص مِمَّا سبق من النصوص، وهذه الأمور الثلاثة هي:

١- الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- عدم التفرق والاختلاف فِي الكتاب والسنة.

٣- أن يكون اتباع الكتاب والسنة مُقيدًا بفهم السلف الصالِح لا بفهم غيرهم.

هذا، وإن من لوازم الاتباع: ترك الابتداع فِي دين الله، وقد تقدم جُملة من النصوص الشرعية الَّتي تأمر بالاتباع، وتُحذر من الابتداع، وقد بشر النَّبي ﷺ المتمسكين بسنته بأعظم بشارة وأكبر مقصد يطلبه كل مؤمن، ويسعى إلَى تَحقيقه من كان فِي قلبه أدنَى مسكة من إيْمان ألا وهو الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

قال ﷺ: «**كل أمتِي يدخلون الْجَنة إلا من أبَى**. قالوا: ومَنْ يأبَى يا رسول الله؟ قال: **مَنْ أطاعنِي دخل الْجَنة، ومن عصانِي فقد أبَى**»(٣).

وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مُخالفة أمره ﷺ، وذلك بالإحداث فِي

(١) انظر: كتاب "أصول الإيْمان فِي ضوء الكتاب والسنة" (ص ٣٠١)، وما بعدها، بتصرُّف يسير.

(٢) كتاب "أصول الإيْمان" (ص ٢٩٣) وما بعدها.

(٣) رواه البخاري فِي صحيحه.

الدين والابتداع فيه؟![1]

قال أُبَي بن كعب رضي الله عنه: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسّه النار أبدًا، وإن اقتصادًا فِي سبيل وسنة خير من اجتهاد فِي خلاف وبدعة».

وإن من تأمل نصوص الكتاب والسنة وجد أن البدع فِي الدين مُحرمة، ومردودة على أصحابِها من غير فرق بين بدعة وبدعة، وإن كانت تتفاوت درجات التحريْم بِحسب نوعية البدعة.

ولذا جاء النهي عن البدع على وجه واحد فِي قوله ﷺ: «**إياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

وقوله ﷺ: «**من أحدث فِي أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

فدل الحديث على أن كل مُحدث فِي الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة.

ومعنَى ذلك: أن كل البدع فِي العبادات والاعتقادات مُحرمة، ولكن التحريْم يتفاوت بِحسب نوع البدعة، فمنها ما هو كفر صراح، ومنها ما هو من وسائل الشرك، ومنها ما هو فسق ومعصية[2].

وإن المتأمل فِي طرق أهل الزيغ والضلال، يَجد أن طرقهم تُخالف طريقة أهل الْهُدى، قال تعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران:٧].

وفِي الصحيح: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمى الله**

(١) "أصول الإيْمَان فِي ضوء الكتاب والسنة" (ص ٢٩٦).

(٢) انظر: كتاب "أصول الإيْمان فِي ضوء الكتاب والسنة" (ص ٢٩٨).

فاحذروهم»[(١)].

وقال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال تعالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فأهم علامات أهل الزيغ[(٢)]:

١- الفرقة الَّتِي نبه الله عليها فِي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

٢- اتباع المتشابه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧].

٣- اتباع الْهوى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣].

٤- معارضة السنة بالقرآن.

٥- بغض أهل الأثر.

٦- إطلاق الألقاب السيئة على أهل السنة.

٧- ترك انتحال مذهب السلف[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ومسلم فِي صحيحيهما.

(٢) **ينظر فِي ذلك**: "شرح السنة" للبربَهاري (ص ٢٢)، و"عقيدة السلف أصحاب الحديث" للصابوني (ص ١٣٢)، و"شرح أصول السنة" للالكائي (١/١٧٩)، و"مَجموع الفتاوى" (٤/١٥٥)، و"منهاج السنة" (٥/٢٣٩-٢٤٠)، و"مَجموع الرسائل والمسائل النجدية" (٣/١٢٠)، و"موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" (١/١٢٧-١٣٤).

(٣) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية فِي "مَجموع الفتاوى" (٤/١٥٦)**: "أما أن يكون انتحال مذهب السلف من شعار أهل البدع فهذا باطل، فإن ذلك غير مُمكن إلا حيث يكثر الجهل، ويقل العلم".

قلت: قد وقع فِي عصرنا من زعم أنه على منهج السلف، وهو ليس كذلك؛ بل هناك من أطلق على الجماعات الحزبية المعاصرة، والَّتِي بعضها على فكر الخوارج اسم السلفية، وزعم
=

٨- تكفير مُخالفيهم بغير دليل.

٩- الإجْمَال فِي مواضع تَحتاج إلَى تفصيل وبيان، والقياس على ما لا يصح القياس عليه.

قال الإمام أحْمَد -رحِمه الله-: "ينبغي للمتكلم فِي الفقه أن يَجتنب هذين الأصلين: الْمُجمل والقياس".

وقال أيضًا: "أكثر ما يُخطئ الناس من جهة التأويل والقياس"(١).

قلت: ما ذكره الإمام أحْمَد -رحِمه الله- من التحذير من هذين الأصلين فِي الفقه، دليل على أنه فِي باب العقيدة يكون تَجنب ذلك أولَى وأحرى.

= أن القاسم المشترك بينهما هو السلفية، وهذا نتيجة لكثرة الجهل وقلة العلم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، أو أن المقصود هو تَمييع الدعوة السلفية القائمة على الكتاب وصحيح السنة بفهم السلف الصالِح لإدخال الطوائف المنحرفة فِي دائرة أهل السنة والجماعة.

(١) "القواعد النورانية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٧/٢).

٨- بعض القواعد في المنهج السلفي

أولاً: قاعدة فِي الأمر بالْمَعروف والنهي عن الْمُنكر:

الْمُراد بالْمَعروف: جَميع الطاعات، وأعظم ذلك: عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له، وترك عبادة ما سواه، ويأتِي بعد ذلك سائر الطاعات من واجبات ومستحبات(١).

والْمُنكر: هو كل ما نَهى الله عنه ورسوله، فجميع المعاصي والبدع منكر، وأعظم المنكر: الشرك بالله ﷻ(٢).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على هذه الأمة وجوبًا كفائيًّا لا عينيًّا؛ إذا قام به من يكفي سقط الإثْم عن الباقين، وإذا لَمْ يقم به أحد أثِمَ الجميع(٣).

قال تعالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "من أمر بالمعروف ونَهى عن المنكر فينبغي أن يكون عالِمًا بِما أمر به، عالِمًا بِما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه، فالعلم قبل الأمر، والرفق مع الأمر،

(١) انظر: كتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" للشيخ العلامة صالِح الفوزان (ص ٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٦، ٧).

(٣) انظر: كتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٤) وما بعدها.

والحلم مع الأمر، فإن لَمْ يكن عالِمًا لَمْ يكن له أن يقفو ما ليس له به علم.

وإن كان عالِمًا، ولَمْ يكن رفيقًا كان كالطبيب الذي لا رفق فيه فيغلظ على المريض فلا يقبل منه، والمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد.

وقد قال الله تعالَى لِموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤].

ثُمَّ من أمر أو نَهى فلابد أن يؤذى فِي العادة، فعليه أن يصبر ويَحلم كما قال تعالَى: ﴿. . . وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]". اهـ.

وقال أيضًا: "والواجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون أمره ونَهيه لله وقصده طاعة الله، وأن يكون مقصوده صلاح الْمَأمور، وإقامة الْحُجة عليه، وألاَّ يكون مقصوده طلب الرئاسة لنفسه وطائفته، أو تنقص غيره.

وأصل الدين: أن يكون الحب لله، والبغض لله، والموالاة لله، والمعاداة لله، والعبادة لله، والاستعانة بالله، والخوف من الله، والرجاء من الله، والعطاء لله، والمنع لله، وهذا إنَّما يكون بِمتابعة رسول الله ﷺ الذي أمره أمر الله، ونَهيه نَهي الله، ومعاداته معاداة الله، وطاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله". اهـ. من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية باختصار.

ثانيًا: قاعدة فِي العبادات:

العبادات مبناها على التوقيف، فالله أمر باتباع[١] الرسول ﷺ قال تعالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال تعالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

(١) والمقصود باتباع الرسول ﷺ فيما كان مقصودًا من فعله للقربة لا للعادة.

ﭐلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [النساء:١٣].

وفِي الصحيحين عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قبَّل الحجر الأسود وقال: «إنِّي لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ قبَّلك ما قبَّلتك».

وقد تقدم قول بعض السلف: «اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم».

كما تقدم أن من شرط قبول العمل: تَجريد المتابعة للرسول ﷺ.

وقد جاءت النصوص الكثيرة فِي القرآن والسنة الَّتِي فيها الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله، والنهي عن معصية الله ومعصية رسوله، فلا يَجوز لأحد أن يَخرج عمَّا مضت به السنة، ودل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه سلف الأمة.

ثالثًا: قاعدة فِي أن مدار الدين على العلم النافع والعمل الصالِح:

إن دين الإسلام مداره على العلم النافع والعمل الصالِح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والصلاح منحصر فِي نوعين: فِي العلم النافع، والعمل الصالِح، وقد بعث الله مُحمَّدًا ﷺ بأفضل ذلك، وهو الهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله .. فالهدى: العلم النافع، ودين الحق: العمل الصالِح ...". اهـ.

وقال -رحِمه الله-: "فأهل السنة والجماعة المتبعين للسلف الصالِح لا يتكلمون فِي شيء من الدين إلا تبعًا لِما جاء به الرسول ﷺ اتباعًا للكتاب والسنة، وأما أهل البدع فلا يعتمدون على الكتاب والسنة وآثار السلف الصالِح؛ وإنَّما يعتمدون على العقل واللغة والفلسفة"(١).

رابعًا: قاعدة: إن درء الْمَفاسد مقدمٌ على جلب الْمَصالِح:

والدليل لِهذه القاعدة:

١- قوله تعالَى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ

(١) باختصار من كلام شيخ الإسلام.

عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]. فحرم الله سب آلِهة المشركين، مع كون السب غيظًا وحمية لله، وإهانة لآلِهتهم لكونه ذريعة إلَى سبهم الله تعالَى، وكان مصلحة ترك مسبة الله تعالَى أرجح من مصلحة سبنا لآلِهتهم.

٢- وجاء فِي حديث عائشة رضي الله عنها أن النَّبِي ﷺ قال: «**يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بِجاهلية لأمرت بالبيت فهُدم، فأدخلت فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض ... الْحَديث**». متفق عليه.

ففي هذا الحديث دلالة ظاهرة على معنَى هذه القاعدة؛ إذ ترك النَّبِي ﷺ مصلحة بناء البيت العتيق على أسس إبراهيم عليه السلام لدرء مفسدة خشي وقوعها إن هو هدمه وبناه عليها، وهي نفور الناس عن الإسلام، أو ردتِهم بسبب هذا الفعل، فقدم النَّبِي ﷺ درء هذه المفسدة على جلب تلك المصلحة.

٣- أن النَّبِي ﷺ كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس، وقولهم أن مُحمَّدًا يقتل أصحابه.

٤- نَهيه ﷺ عن قتل الأمراء، والخروج على الأئمة، وإن ظلموا ما أقاموا الصلاة سدًّا لذريعة الفساد العظيم، والشر الكثير، فإنه حصل بسبب قتالِهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه من منكر، والأمة فِي بقايا تلك الشرور إلَى الآن.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**إذا بويع لِخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**». سدًّا لذريعة الفتنة. انتهى ملخصًا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

ويقول شيخ الإسلام بعدما ذكر جُملة من الفروع الْمُندرجة تَحت قاعدة درء الْمَفاسد أولَى من جلب الْمَصالِح، وأنه إذا تعارضت الْمَصالِح والْمَفاسد قُدِّم الأرجح منهما على الْمَرجوح، قال -رحِمه الله-: "ومنها: أن من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة -أي: أئمة الجور- وترك القتال فِي الفتنة،

وجِماع ذلك داخل فِي القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالِح والمفاسد، والحسنات والسيئات، أو تزاحمت فإنه يَجب ترجيح الراجح منهما، فيما إذا ازدحمت المصالِح والمفاسد، وتعارضت المصالِح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة، ودفع مفسدة فينظر فِي المعارض له، فإن كان ما يفوت من المصالِح، أو يحصل من المفاسد أكثر؛ لَمْ يكن مأمورًا به، بل يكون مُحرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته.

واعتبار مقادير المصالِح والمفاسد هو بِميزان الشريعة، وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بِحيث لا يفرقون بينهما بل إما أن يفعلوهُما جَميعًا، أو يتركوهُما جَميعًا؛ لَمْ يَجز أن يؤمروا بِمعروف، ولا أن ينهوا عن منكر بل ينظر، فإن كان المعروف أكثر أمر به حَتَّى لو استلزم ما هو دونه من المنكر، ولا ينهى عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه؛ لأن النهي يكون حينئذٍ من باب الصد عن سبيل الله والسعي فِي زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال فعل الحسنات.

وإن كان المنكر أغلب نَهى عنه حَتَّى لو استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرًا منكرًا، وسعيًا فِي معصية الله ورسوله.

أما لو تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان، فلا يؤمر بِهما ولا ينهى عنهما، فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح أمر ولا نَهي، وحيث كان المعروف والمنكر متلازمين، وذلك فِي الأمور المعينة الواقعة، وأما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقًا، وينهى عن المنكر مطلقًا، وفِي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بِمعروفها، وينهى عن منكرها، ويُحمد مَحمودها، ويذم مذمومها، بِحيث لا يتضمن الأمر بِمعروف فوات أكثر منه، أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن

النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه، أو فوات معروف أرجح منه.

ومن هذا الباب: إقرار النَّبي ﷺ لعبد الله بن أُبَي بن سلول وأمثاله من أئمة النفاق والفجور؛ لِما لَهم من أعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك يُغضب قومه وحَميتهم، وبنفور الناس إذا سَمعوا أن مُحمَّدًا يقتل أصحابه"[١]. اهـ.

خامسًا: قاعدة: أن الأحكام الأصولية والفروعية لا تتم إلاَّ بأمرين هُمَا: وجود الشروط، وانتفاء الْمَوانع[٢]:

قلت: وهذا أصل عظيم فِي جَميع أحكام الشرع سواءً كانت أُصولاً أم فروعًا لابد من وجود شروطها، وانتفاء موانعها، فلو وجد الشرط لكن كان هناك مانع لَمْ يصح الحكم، من ذلك مثلاً: آيات الوعيد فِي حق من ارتكب أمورًا مُحرمة فهو أهل لِما جاء فِي النصوص من الوعيد، لكن قد يكون هناك مانع يَمنع من العقاب كالتوبة، أو استغفار المؤمنين، أو المصائب[٣]، أو غير ذلك من مكفرات الذنوب.

ومن ذلك: الصلاة مثلاً لابد من وجود شرطها وهو الطهارة، فمن أراد الصلاة بلا طهارة فلا تصح منه لفقد شرطها.

ومن هذا الأصل: التكفير والتبديع والتفسيق "وهو باب قد عظمت فيه الفتنة والْمِحنة، وطاشت فيه الأحلام، وكثر فيه الافتراق. وتشتت فيه الأهواء والآراء"[٤].

(١) من كلام شيخ الإسلام فِي "مَجموع الفتاوى" (٢٨/١٢٨-١٣١)، وكتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لشيخ الإسلام (ص ٢١).

(٢) "شرح القواعد السعدية" (ص ٨٩).

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٤) انظر: "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" (١/٢٣٧).

وموقف أهل السنة والْجَماعة السائرين على منهج السلف الصالِح من تكفير أهل البدع والعقائد الفاسدة: هو التفصيل(١)، وهو أن أهل البدع ليسوا على درجة واحدة:

- **فمنهم**: من هو مقطوع بتكفيره كمن أتى بقول أو فعل مكفر، وتَمت فِي حقه شروط التكفير، وانتفت موانعه.

- **ومنهم**: من لا يُحكم بكفره لانتفاء ذلك فِي حقه(٢).

ثُمَّ إن القول فِي تكفير أهل البدع والتكفير عمومًا مبنِي على أصلين عظيمين:

أحدهُما: دلالة الكتاب والسنة على أن القول أو الفعل الصادر من الْمَحكوم عليه موجب للتكفير.

وثانيهما: انطباق هذا الحكم على القائل المعيَّن، أو الفاعل المعيَّن، بِحيث تتم شروط التكفير فِي حقه، وتنتفي الموانع(٣).

وهذان الأصلان أيضًا ينطبقان على الشخص عند الحكم عليه بالابتداع، أو الفسق، وهو دلالة الكتاب والسنة على أن القول أو الفعل الصادر من الْمَحكوم عليه بدعة، وكون القائل المعيَّن، أو الفاعل المعيَّن تَمت فِي حقه شروط التبديع، وانتفت موانعه(٤)، والله أعلم.

---

(١) وهناك قول يرى نفي التكفير نفيًا عامًّا عن أحد من أهل القبلة فلا يكفر أحد من أهل القبلة، وقول يرى تكفير أهل البدع تكفيرًا مطلقًا، وأنَّهم كلهم كفار خارجون عن الإسلام، وكلا القولين مُجانب للصواب، مُخالف للأدلة الشرعية، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله- خطأ من نسب هذين القولين لأحد من أئمة السلف، وأن الصواب هو التفصيل، وهو القول الحق عن أئمة السلف. انظر: "مَجموع الفتاوى" (٣٣٧/٧-٣٤٠).

(٢، ٣، ٤) انظر: "مَجموع الفتاوى" (٣٥٢/٣-٣٥٤، ٤٩٧/١٢-٤٩٨)، و"شرح العقيدة الطحاوية" (٣٣٨-٣٤٠)، وانظر الكلام على هذه المسألة وافيًا فِي الكتاب القيم: "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" للأخ الفاضل الشيخ الدكتور: إبراهيم بن عامر الرحيلي (١٦٣/١-٢٣٥).

٩- موقف السلف الصالح من المبتدعة

- **الْحَذر والتحذير من أهل الأهواء والبدع الْمُخالفين للسنة:**

قال ﷺ: «**من أحدث فِي أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

وقال ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيْمان**». رواه أبو داود.

وقال ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله فِي أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثُمَّ إنَّها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس من وراء ذلك من الإيْمان حبة خردل**». رواه مسلم.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخرج فِي آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول الناس، يَمرقون من الإسلام كما يَمرق السهم من الرمية، من لقيهم فليقتلهم، فإن فِي قتلهم أجرًا لِمن قتلهم عند الله يوم القيامة**»(١).

والْمَعني بِهذا الْحَديث: هم الخوارج، وقد قاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ مع علي بن أبِي طالب ﷺ فِي معركة النهروان.

فلهذه النصوص المتقدمة وما فِي معناها فقد حذر أئمة السلف من البدع

(١) رواه مسلم فِي كتاب الزكاة.

والمبتدعة، وامتلأت كتبهم ومؤلفاتُهم بالرد على البدع وأهلها، والتحذير من ذلك.

١- فقد روى مسلم في صحيحه عن يَحيَى بن يَعمر، وحُميد بن عبد الرحمن، قال يَحيَى لعبد الله بن عمر ﷺ: «إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويتفقرون العلم[١] وذكر شأنَهم، وأنَّهم يزعمون أنه لا قدر، وأن الأمر أنف. قال ابن عمر: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنِّي بريء منهم، وأنَّهم براء منِّي، والذي يَحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحدٍ ذهبًا فأنفقه؛ ما قَبلَ الله منه حَتَّى يؤمن بالقدر ..».

٢- وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «إياكم وأصحاب الرأي، فإنَّهم أعداء السنة، أعيتهم الأحاديث أن يَحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلُّوا وأضلُّوا». رواه ابن أبي شيبة.

٣- وروى الدارمي واللالكائي وغيرهُما عن أبي قلابة -رحِمه الله- قال: "ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف".

٤- وقال أيوب السختياني: "أهل الأهواء كلهم خوارج؛ وقال: إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف".

٥- وعن سفيان الثوري -رحِمه الله- قال: "البدعة أحب إلَى إبليس من المعصية، والمعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها"[٢]. رواه اللالكائي.

٦- وروى أيضًا عن قتادة أنه قال: "يا أحول، إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لَها أن تُذكر حَتَّى تُحذر".

---

(١) أي: يتتبعون.

(٢) هذا الذي ذكره سفيان -رحِمه الله- من عدم قبول توبة المبتدع إنَّما هو مَحمول على الغالب؛ لأنه يفعل ما يفعل، ويرى أنه دين يتقرب به إلَى الله، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: **«إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حَتَّى يدع بدعته»**.

٧- وعن الحسن قال: "أهل الأهواء بِمنْزلة اليهود والنصارى"(١).

٨- وقال عمر بن عبد العزيز -رحِمه الله-: "إذا رأيت قومًا يتناجون فِي دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنَّهم على تأسيس ضلالة".

٩- وقال عبد الله بن عمر ﷺ: «ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحًا بأن قلبِي لَمْ يدخله شيء من هذه الأهواء».

١٠- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «يَجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا -يعنِي: مفصل الإصبع- فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى».

ولَمْ يكتف أئمة السلف بالرد على أهل البدع والضلال، بل حذروا الناس من مُجالستهم والاستماع إلَى كلامهم:

فقد روى الدارمي، وابن بطة عن الحسن -رحِمه الله- أنه كان يقول: "لا تُجالسوا أهل الأهواء، ولا تُجادلوهم، ولا تسمعوا منهم".

وقد روى الآجرِّي واللالكائي عن الحسن أيضًا: أن رجلاً أتاه فقال: يا أبا سعيد، إنِّي أريد أن أخاصمك، فقال الحسن: "إليك عنِّي، فإنِّي عرفت دينِي، وإنَّما يُخاصمك الشاك فِي دينه".

وعن إسْمَاعيل بن خارجة قال: دخل رجلان من أهل الأهواء على مُحمَّد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر، نُحدثك بِحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا. وقال: تقومان عنِّي، وإلا قمت، فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرآ آية؟ فقال: "إنِّي كرهت أن يقرآ آية فيحرفانِها، فيقر ذلك فِي قلبِي".

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد فِي السنة عن أبِي قلابة -رحِمه الله- قال:

(١) يعنِي: من جهة تَمسكهم بِما هم عليه وتركهم السنن؛ لا أنَّهم كفار.

"لا تُجالسوهم، ولا تُخالطوهم، فإنِّي لا آمن أن يغمسوكم فِي ضلالاتِهم، ويلبسوا عليكم كثيرًا مِمَّا تعرفون".

فهذه بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال سلف الأمة أهل الديانة والتقى، وأهل الزهد والورع، إضافة إلَى ما تقدم من الأمر بالاتباع، والنهي عن الابتداع، جاءت مصرحة بِجواز الطعن على أهل البدع، وبيان حالهم للناس؛ بل عدهم ذلك من الواجبات الَّتِي لا يقوم الدين إلا بِها.

وأن ذلك من باب الجهاد فِي سبيل الله، يوازي من حيث الشرف، ونبل المقصد جهاد الأعداء بالسيف والسنان؛ بل يترجح على ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله-: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإنَّ بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتِّفاق المسلمين، حَتَّى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم، ويصلي، ويعتكف أحبّ إليك، أو يتكلم فِي أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف، فإنَّما هو لنفسه، وإذا تكلم فِي أهل البدع، فإنَّما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبيَّن أن نفع هذا عام للمسلمين فِي دينهم من جنس الجهاد فِي سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانِهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين؛ ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإنَّ هؤلاء إذا استولوا لَمْ يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلاَّ تبعًا، وأمَّا أولئك فيفسدون القلوب ابتداءً"(١).

(١) "مَجموع الفتاوى" (٢٨/٢٣١-٢٣٢).

وقال -رحِمه الله- فِي موضع آخر: "وإذا كان مبتدعًا يدعو إِلَى عقائد تُخالف الكتاب والسنة، ويُخاف أن يُضِلَّ الرجلُ الناسَ بذلك بيّن أمره للناس ليتقوا ضلاله، ويعلموا حاله، وهذا كله يَجب أن يكون على وجه النصح، وابتغاء وجه الله تعالَى لا لِهوى الشخص مع الإنسان، مثل أن تكون بينهما عداوة دنيوية، أو تَحاسد، أو تباغض، أو تنازع على الرئاسة فيتكلم بِمساوئه مُظهرًا للنصح، وقصده فِي الباطن الغض من الشخص، واستيفاؤه منه، فهذا من عمل الشيطان"(١).

فالسلف الصالِح من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم على منهاجهم قد انعقد إجْمَاعهم على ذم البدع وأهلها، والتحذير منها ومن أهلها(٢) اتباعًا للكتاب والسنة، فالواجب اتباعهم فِي ذلك.

---

(١) "مَجموع الفتاوى" (٢٨/٢٢١).

(٢) انظر: "الاعتصام" للشاطبي (١/١٤١-١٤٢)، وانظر كلام شيخ الإسلام المتقدم، حيث ذكر أن دفع بغي المبتدعة وعدوانِهم واجب على الكفاية باتِّفاق المسلمين.

١٠- من منهج السلف الرد على المخالف[(١)]

إنه من المتقرر عند أئمة السلف -رحمهم الله-: الرد على المخالف، وسواء كان المخالف من أهل السنة والجماعة[(٢)]: خالف في مسألة فقهية، أو عقدية، أو كان المخالف من أهل البدع.

ولا يلزم في الرد على المخالف ذكر حسنات المردود عليه، أو الموازنة بين الحسنات والسيئات، فقد مدح الله المؤمنين من غير ذكر مساوئهم، وذم الله الكافرين، والمنافقين، والفاسقين من غير ذكر مَحاسنهم، وقد حذر النَّبي ﷺ أمته من أهل الأهواء، دون التفات إِلَى ما فيهم من حسنات.

وذكر النَّبي ﷺ عيوب أشخاص معينين، ولَمْ يذكر مَحاسنهم من باب النصيحة.

---

(١) وهو أصل متقرر عند أهل السنة والجماعة، ويعدونه من باب النصيحة، وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على هذا الأصل، وهو الرد على المخالف، ولمزيد من التفصيل في هذا الباب، وهو الرد على المخالف، ينظر في الكتاب القيم الموسوم بـــ: "منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف" للشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-، والكتاب القيم للدكتور بكر أبو زيد "الرد على المخالف من أصول الإسلام".

(٢) لكن إن كان المنتقَد من أهل السنة والجماعة، وأخطاؤه في الأمور الَّتي لا تُخل بالعقيدة فهذا تُذكر ميزاته، وحسناته تغمر زلاته في نصرته للسنة، أما إن كان المنتقَد من أهل الضلال فلا يَجوز لنا أن نذكر حسناته ... من كلام الشيخ العلامة الدكتور/ صالح الفوزان -حفظه الله-.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

قالت: قال رسول الله ﷺ: **فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم**». رواه البخاري ومسلم فِي صحيحيهما.

وعن أبِي هريرة رضي الله عنه قال: «سيكون فِي آخر الزمان ناس يُحدثونكم بِما لَمْ تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيَّاهم». مقدمة مسلم.

ومعلوم أن أهل البدع لا يَخلون من مَحاسن، فلم يلتفت رسول الله ﷺ إليها، ولَمْ يذكرها، ولَمْ يقل: استفيدوا من مَحاسنهم(١).

قال البغوي فِي شرح هذين الْحَديثين: "قد أخبر النَّبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة، وظهور أهل الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لِمن اتبع سنته وسنة أصحابه، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئًا من الأهواء والبدع معتقدًا، أو يتهاون بشيء من السنن أن يَهجره، ويتبرأ منه ويتركه حيًّا وميتًا، فلا يُسلِّم عليه إذا لقيه، ولا يُجيبه إذا ابتدأ، إلَى أن يترك بدعته، ويراجع الحق.

والنهي عن الهجران فوق ثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير فِي حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان فِي حق من الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلَى أن يتوبوا". اهـ(٢).

---

(١) "منهج أهل السنة والجماعة فِي نقد الرجال والكتب والطوائف" للشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي المدخلي (ص ١٨).

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها، و"شرح السنة" (١/٢٧٧).

هذا بالنسبة للتحذير من أهل الأهواء والبدع، وأما بالنسبة لذكر النَّبِي ﷺ عيوب أشخاص معينين بدون ذكر مَحاسنهم:

١- فعن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النَّبِي ﷺ فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**»(١).

قال القرطبِي -رحِمه الله-: "فِي الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق، أو الفحش، أو نَحو ذلك من الجور فِي الحكم والدُّعاء إلَى البدعة ..."(٢).

قال النووي: "وفِي الحديث مداراة من يتقى فحشه، وجواز غيبة الفاسق المعلن فسقه، ومن يَحتاج الناس إلَى التحذير منه"(٣).

٢- ولَما ذكرت فاطمة بنت قيس للنَّبِي ﷺ أن معاوية بن أبِي سفيان، وأبا جهم خطباها، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، أنكحي أسامة بن زيد**»(٤). ولا شك أن للرجلين فضائل ومَحاسن، ولكن المقام مقام نصيحة ومشورة لا يتطلب أكثر من ذلك.

٣- وعن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت: «يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطينِي ما يكفينِي وولدي إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، قال: **خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»(٥).

قال الْحَافظ ابن حجر: واستدل بِهذا الحديث على جواز ذكر الإنسان بِما لا

---

(١) صحيح البخاري مع "الفتح" (١٠/٤٧١).

(٢) "فتح الباري" (١٠/٤٥٢).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٤٤).

(٤) صحيح مسلم (٢/١١١٤).

(٥) صحيح البخاري مع الفتح (٩/٥٠٧).

يعجبه إذا كان على وجه الاستفتاء والاشتكاء ونَحو ذلك، وهو أحد المواضع الَّتِي تُباح فيها الغيبة(١).

فلم ينكر عليها النَّبِي ﷺ ذكرها للجانب السيئ، ولَمْ يكلفها بذكر مَحاسن أبِي سفيان، وإنه لذو مَحاسن(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحْمَةُ الله عليه-: "جرح رواة الحديث بالحق، وبدع المبتدعة واجب شرعًا، وقال: ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالِهم، وتَحذير الأمة منهم واجب باتِّفاق المسلمين حَتَّى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم، ويصلي، ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم فِي أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنَّما هو لنفسه، وإذا تكلم فِي أهل البدع فإنَّما هو للمسلمين هذا أفضل.

فبيَّن أن نفع هذا عام للمسلمين فِي دينهم من جنس الجهاد فِي سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانِهم على ذلك واجب على الكفاية باتِّفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لَمْ يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً"(٣).

---

(١) "فتح الباري" (٥٠٩/٩).

(٢) انظر: "منهج أهل السنة والجماعة فِي نقد الرجال والكتب والطوائف" (ص ٢٠-٢١).

(٣) "مَجموع الفتاوى" (٢٨/٢٣١-٢٣٢).

١١- ضوابط يجب مراعاتها بالنسبة للأفراد والجماعات

وهذه ضوابط[١] تُحدد من يَجب احترامهم وإكرامهم من البشر، فلا يَجوز أن تُمس كرامتهم، وتُحدد من يَجوز الكلام فيهم ونقدهم، بل يَجب عند الحاجة والمصلحة دون تعريج على مَحاسنهم.

أ- من يجب تكريمهم :

أولاً: الرسل والأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجْمَعين-.

ثانيًا: الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم أجْمَعين- فليس لَهم من الأمة إلا الحب والتوقير، وقد أثنَى الله عليهم فِي كتابه الثناء العاطر، وتَحدث عن منازِلهم وجهادهم وبذلِهم فِي سبيل الله المال والنفس.

وأثنَى عليهم رسول الله ﷺ الثناء العاطر أفرادًا وجَماعات، واعتنَى بفضائلهم ومكارمهم أئمة الإسلام، فألَّفوا فِي فضائلهم ومناقبهم المؤلفات الكثيرة، وقد نَهى رسول الله ﷺ عن سبهم، فقال: «**لا تسبوا أصحابِي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق**

(١) هذه الضوابط ذكرها الشيخ ربيع المدخلي فِي كتابه: "منهج أهل السنة والجماعة فِي نقد الرجال والكتب والطوائف" (ص ٢٥) وما بعدها؛ ونقلتها لأنَّها تُمثل خلاصة لِمنهج السلف فِي هذا الباب.

أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». متفق عليه.

ولقد عرف منْزلتهم أهل السنة والجماعة، فحافظوا عليها أيّما حفاظ، ونَهوا عن الخوض فيما شجر بين علي ومعاوية، ومن معهما من بقية الصحابة، وأثبتوا لَهم أجر الْمُجتهدين، وحكموا على من يتكلم فيهم أو فِي أحد منهم بالزيغ والضلال والزندقة.

ثالثًا: التابعون لَهم بإحسان من التابعين الذين أدركوا صحابة رسول الله ﷺ، واهتدوا بِهديهم مثل فقهاء المدينة السبعة، ومن جرى على منهجهم فِي سائر الأمصار، ثُمَّ من بعدهم من أئمة الحديث والفقه والتفسير الذين سلكوا مسلك الصحابة والتابعين الكرام، ومن سار على منهجهم فِي الاعتقاد والاعتصام بالكتاب والسنة، ومُجانبة البدع والأهواء وأهلها، والدفاع عن الحق وأهله إِلَى يومنا هذا وبعده إِلَى أن يأتِي أمر الله.

وهؤلاء هم الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتِي على الْحَقِّ ظاهرين لا يضرهم من خذلَهم، ولا من خالفهم حَتَّى يأتِي أمر الله ﷻ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فِي أمثال هؤلاء: "ومن عُلِم منه الاجتهاد السائغ فلا يَجوز أن يُذكر على وجه الذم والتأثيم له؛ فإن الله غفر له خطأه، بل يَجب لِمَا فيه من الإيْمَان والتقوى موالاته ومَحبته، والقيام بِما أوجب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك"[١].

ب- من يجوز نقدهم وتجريحهم وتحذير الناس من ضررهم:

أولاً: ويَجوز بل يَجب الكلام فِي أهل البدع والتحذير منهم، ومن بدعهم

(١) "مَجموع الفتاوى" (٢٨/٢٣٤).

أفرادًا وجَماعات، الماضون منهم والحاضرون من: الخوارج، والروافض، والجهمية، والمرجئة، والكرامية، وأهل الكلام، الذين جرَّهم علم الكلام إِلَى عقائد فاسدة مثل: تعطيل صفات الله أو بعضها، فهؤلاء يَجب التحذير منهم ومن كتبهم، وكذلك من سار على نَهجهم من الفرق -الجماعات- المعاصرة مِمَّن باين أهل التوحيد والسنة ونابذهم، وجانب مناهجهم؛ بل حاربَها، ونفَّر عنها وعن أهلها.

ويلحق بِهم من يناصرهم ويدافع عنهم ويذكر مَحاسنهم، ويشيد بِها ويشيد بشخصياتِهم وزعمائهم[١]، وقد يفضل مناهجهم على منهج أهل التوحيد والسنة والجماعة.

ثانيًا: الرواة والشهود إذا كانوا مَجروحين جاز جرحهم بإجْماع المسلمين، بل هو واجب. قال ذلك وحكاه النووي وابن تيمية -رحِمهما الله-[٢].

وإن المتتبع لِما قام به أئمة الإسلام فِي نصرة هذا الدين، ومن ذلك الرد على المبتدعة؛ يَجد أن أئمة الإسلام تكلموا فِي أهل البدع، وفِي الرواة، ولَمْ يشيروا إِلَى الموازنة بين الحسنات والسيئات.

وألفوا كتبًا فِي الجرح والتعديل، وكتبًا فِي نصر السنة، والرد على أهل البدع وفرقهم، وكتبًا فِي الموضوعات، ولَمْ يوجبوا هذه الموازنة من قريب ولا من بعيد، بل ألفوا كتبًا خاصة بالجرح، وخصصوها بالْمَجروحين، ومن تُكلِّم فيهم بِجرح، ولَمْ يشترطوا هذا الشرط لا من قريب ولا من بعيد[٣].

---

(١) هذا إذا كان يعرف حالَهم وما عندهم من مُخالفة للسنة.

(٢) انظر: "مَجموع الفتاوى" (٢٣٤/٢٨).

(٣) انظر: "منهج أهل السنة والجماعة فِي نقد الرجال والكتب والطوائف" (ص ٣٢)، وقد ذكر المؤلف -حفظه الله- أمثلة لذلك كما فِي (ص ٣٣-٣٤).

وإن الناظر فِي كتب أئمة السلف؛ يَجد التحذير من البدع وأهلها، ولا يَجد فيها أنَّهم لا يذكرون الشخص إلا مقرونة حسناته بسيئاته وبدعه، بل يذكرون مثالب الكتاب، أو الجماعة، أو الفرد المتكلم فيه بدون التفات إلَى ما فِي ذلك من حسنات.

انظر ما كتبه الإمام أحمد، وابنه عبد الله، وما كتبه البخاري فِي "خلق أفعال العباد"، وما كتبه الخلال، وابن خزيْمَة فِي كتب السنة والتوحيد.

وانظر ما كتبه ابن بطة فِي الشرح والإبانة، وشرح اعتقاد أصول أهل السنة للالكائي، ومقدمة شرح السنة للبغوي، ومقدمة ابن ماجه، والسنة لأبِي داود فِي كتابه السنن، والحجة فِي بيان الْمَحجة لأبِي القاسم التيمي الأصبهانِي، وانظر مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب، وانظر مواقفهم وتعاملهم مع أهل البدع[1].

قلت: إن علماء السلف قد ردوا على الطوائف المبتدعة، فقد ردوا على الروافض، والقدرية، والجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والمرجئة، والأشاعرة، والماتريدية، والصوفية، كما ردوا على رءوس المبتدعة كالجهم بن صفوان، وبشر المريسي، وابن المطهر الحلي، والرازي، وابن عربِي، وردوا على الآمدي، والغزالِي، والبكري، والأخنائي، والسُّبكي، وغيرهم.

وإن العلماء السلفيين المعاصرين اقتفوا أثر سلفهم الصالح فِي الرد على الطوائف المبتدعة، والرد على رءوس البدعة والضلال، فقد ردوا على الطوائف الصوفية، والجماعات الحزبية المعاصرة[2] المخالفة لِهدي النَّبِي ﷺ، وهدي أصحابه، وردوا

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٧٠).

(٢) والَّتِي اتَّخذت مناهج فِي الدعوة مُخالفة لِمَا كان عليه السلف الصالِح، ومن هذه الجماعات الجماعة المعروفة بقاعدتِها المشهورة "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا
=

على كل من خالف السنة، وهدي السلف الصالِح فِي قليل أو كثير؛ إذا علموا بذلك؛ نصرة لدين الإسلام.

ثُمَّ إن هؤلاء العلماء السلفيين المعاصرين الذين ردوا على رموز المبتدعة فِي هذا العصر؛ ساروا على المنهج الصحيح، وهو عدم الموازنة بين الحسنات والسيئات، ومن أحسن ما أُلِّف فِي ذلك، ونال استحسان العلماء هو كتاب: "منهج أهل السنة والجماعة فِي نقد الرجال والكتب والطوائف" للشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي، وقد أيَّد منهج النقد الذي ذكره الشيخ ربيع أبرز علماء هذا العصر، ومنهم الشيخ العلامة الإمام عبد العزيز بن باز -رحِمه الله-، والشيخ العلامة مُحمَّد ناصر الدين الألبانِي، والشيخ العلامة صالِح الفوزان، وغيرهم.

وقد سئل سَماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز السؤال التالِي: بالنسبة لمنهج أهل السنة والجماعة فِي نقد أهل البدع وكتبهم، هل من الواجب ذكر مَحاسنهم ومساوئهم فقط، أم فقط مساوئهم؟

فأجاب -رحِمه الله-: "المعروف فِي كلام أهل العلم نقد المساوئ للتحذير،

فيه"، وبناءً على هذه القاعدة، فإن لَهم منهجًا تَجميعيًّا خطيرًا ينضوي تَحته كل من وافقهم على قاعدتِهم، فنتج عن هذا التجميع دخول كثير من الطوائف المنحرفة، لا فرق بين صوفِي، ورافضي، ومعطل، ومشبِّه، وقبوري؛ بل أدخلوا النصارى فِي تَجمعاتِهم وتسامَحوا مع اليهود على حساب العقيدة.

حيث قال غير واحد من زعمائهم: "إن عداوتنا لليهود ليست دينية". وتولد من هذه الدعوة، وسار فِي ظلالِها الدعوة إلَى التقريب بين السنة والرافضة، ثُمَّ الدعوة إلَى التقارب بين الأديان وغيرها من الدعوات الَّتِي تَهدم قاعدة الولاء والبراء فِي الإسلام، وقد تفرع عن هذه الجماعة جَماعات منها ما هو غالٍ مكفِّر على منهج الخوارج، ومنها ما هو متساهل جدًّا موافق للمرجئة فِي اعتقادهم.

وبيان الأخطاء الَّتِي أخطئوا فيها للتحذير منها، أما الطيب معروف مقبول الطيب، لكن المقصود التحذير من أخطائهم: الجهمية، المعتزلة، الرافضة، ... وما أشبه ذلك، فإذا دعت الحاجة إِلَى بيان ما عندهم من حق يبين، وإذا سأل السائل ماذا عندهم من الحق، ماذا وافقوا فيه أهل السنة؟ والمسئول يعلم ذلك يبين، لكن المقصود الأعظم والأهم بيان ما عندهم من الباطل ليحذر السائل، ولئلا يَميل إليهم".

فسأله آخر: فيه أناس يُوجبون الموازنة أنك إذا انتقدت مبتدعًا ببدعته؛ لتحذر الناس منه يَجب أن تذكر حسناته حَتَّى لا تظلمه.

فأجاب الشيخ -رحِمه الله-: لا ما هو بلازم، ما هو بلازم.

ولِهذا إذا قرأت كتب أهل السنة وجدت أن المراد التحذير، اقرأ فِي كتب البخاري "خلق أفعال العباد"، فِي كتاب الأدب فِي الصحيح، كتاب "السنة" لعبد الله ابن أحمد، كتاب "التوحيد" لابن خزيْمة، رد عثمان بن سعيد الدارمي على أهل البدع ... إِلَى غير ذلك يوردونه للتحذير من باطلهم، ما هو المقصود تعديد مَحاسنهم ... المقصود التحذير من باطلهم، ومَحاسنهم لا قيمة لَها بالنسبة لِمن كفر، إذا كانت بدعته تكفره بطلت حسناته، وإن كانت لا تكفره فهو على خطر عظيم، فالمقصود بيان الأخطاء والأغلاط الَّتِي يُحذر منها(١).

(١) انظر: مقدمة النصر العزيز (ص ٨) نقلاً من شريط مسجل لدرس من دروس الشيخ الَّتِي ألقاها فِي صيف عام ١٤١٣هـ فِي الطائف، وكتب سَماحة الشيخ -رحِمه الله- حافلة بالردود على المبتدعة والأحزاب المختلفة مثل كتاب "التحذير من البدع" و"نقد القومية العربية" وردود كثيرة على دعاة إقامة الموالد والأعياد الجاهلية والنحل المختلفة، لا تَجد فيها شيئًا من هذه الموازنات الَّتِي يدعو إليها بعض الناس، وهذا المنهج الذي سلكه سَماحة الشيخ ابن باز -رحِمه الله- سار عليه الشيخ العلاَّمة صالِح الفوزان فِي ردوده ومناقشاته، وكذلك غيره من علماء هذه البلاد اتِّباعًا لعلماء السلف -رحِمهم الله تعالَى-.

وسئل الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله- بعد أن سئل عدة أسئلة حول الْجَماعات السؤال التالِي: يا شيخ، نُحذر منهم دون أن نذكر مَحاسنهم مثلاً، أو نذكر مَحاسنهم ومساوئهم؟

فأجاب: "إذا ذكرت مَحاسنهم معناه دعوت لَهم ... لا، لا تذكر مَحاسنهم، اذكر الخطأ الذي هم عليه فقط؛ لأنه ما هو موكول لك أن تدرس وضعهم، وتقوِّم شخصياتِهم، أنت موكول لك ببيان الخطأ الذي عندهم من أجل أن يتوبوا منه، ومن أجل أن يَحذره غيرهم، أما إذا ذكرت مَحاسنهم، قالوا: هذا الذي نبغيه". مقدمة النصر العزيز (ص ٨) نقلاً من شريط مسجل للدرس الثالث من دروس كتاب التوحيد الَّتي ألقاها فضيلته فِي صيف عام ١٤١٣هـ بالطائف.

وسئل فضيلة الشيخ عبد العزيز الْمُحمد السلمان -رحِمه الله- السؤال التالِي هل تشترط الْمُوازنة بين الحسنات والسيئات فِي الكلام على المبتدعة فِي منهج السلف؟

فأجاب -رحِمه الله-: "اعلم -وفقنا الله وإياك وجَميع المسلمين- أنه لَمْ يؤثر عن أحد من السلف الصالِح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان تعظيم أحد من أهل البدع والموالين لأهل البدع والمنادين بِموالاتِهم؛ لأن أهل البدع مرضى القلوب، ويُخشى على من خالطهم أو اتصل بِهم أن يصل إليه ما بِهم من هذا الداء العضال؛ لأن المريض يُعدي الصحيح ولا عكس، فالحذر الحذر من جَميع أهل البدع، ومن أهل البدع الذين يَجب البعد عنهم وهجرانِهم: الجهمية، الرافضة، المعتزلة، الماتريدية، الخوارج، الصوفية، الأشاعرة، ومن على طريقتهم المنحرفة عن طريقة السلف، فينبغي للمسلم أن يَحذرهم، ويُحذر منهم"[(١)].اهـ.

وسئل الشيخ الألبانِي -رحِمه الله- عن قاعدة الْمُوازنة فأنكرها، وجاء فِي كلامه:

(١) مقدمة النصر العزيز (ص ١٢).

"من أين لَهم أن الإنسان إذا جاءت مناسبة لبيان خطأ مسلم إن كان داعية أو غير داعية لازم يعمل مُحاضرة يذكر فيها مَحاسنه من أولِها إلَى آخرها، الله أكبر شيء عجيب؟!!"[١].

ومِمَّا تقدم عن علماء السلف المتقدمين والمعاصرين، يتبين أنه ليس من منهج السلف الموازنات فِي نقد أهل الباطل، وأن ذلك المنهج -أي: الموازنة بين الحسنات والسيئات عند النقد- يؤدي إلَى مفاسد كبيرة وخطيرة جدًّا، وأهمها:

١- تَجهيل السلف.

٢- رميهم بالظلم والجور.

٣- تعظيم البدع وأهلها، وتَحقير أئمة السلف، وما هم عليه من السنة والحق[٢].

ثُمَّ إن الْمُلفت للنظر أن أصحاب الدعوة إلَى المناداة بالموازنة بين الحسنات والسيئات مع ما فِي هذا المنهج من باطل، وتزيين للبدع وأهلها وتلميعهم "هم لا يطبقون هذا المنهج على أهل السنة المعاصرين السائرين على نَهج السلف الكرام، بل يقذفونَهم بالبوائق والدواهي ظلمًا وبغيًا، ويذيعونَها فِي أرجاء الأرض، ويفعلون كل ذلك انتصارًا لأهل البدع، ومُحاماة عنهم، فيقع المساكين فِي حَمأة الصد عن سبيل الله، والصد عن منهج السلف من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ويقعون فِي حَمأة الدعوة إلَى الباطل والبدع من حيث يشعرون أو لا يشعرون".اهـ. من كلام الشيخ العلامة ربيع[٣].

---

(١) من أجوبة الألبانِي على أسئلة أبِي الحسن الدعوية.

(٢) انظر: كتاب "الْمَحجة البيضاء فِي حماية السنة الغراء" لفضيلة الشيخ ربيع المدخلي (ص ١٢٧).

(٣) انظر: كتابه "الْمَحجة البيضاء" (ص ٣١).

١٢- الأبواب التي تجوز فيها الغيبة والجــرح عنـد علماء الإســلام

قال النووي -رحِمه الله-: اعلم أن الغيبة تُباح لغرض صحيح شرعي لا يُمكن الوصول إليه إلا بِها، وهو ستة أبواب:

الأول: التظلم.

الثانِي: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلَى الصواب.

الثالث: الاستفتاء.

الرابع: تَحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم.

الْخَامس: أن يكون مُجاهرًا بفسقه وبدعته.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب: كالأعمى، والأعرج، والأصم؛ جاز تعريفهم بذلك.

ثُمَّ قال: فهذه ستة أبواب ذكرها العلماء وأكثرها مُجمع عليها، دلائلها من الأحاديث الصحيحة المشهورة(١).

وقد نظم بعض العلماء هذه الأبواب فِي قوله:

القدح ليس بغيبة فِــي ستــة	**متظلم ومعــرف ومُحــذر**
ومُجاهر فسقًا ومستفتٍ ومن	**طلب الإعانة فِي إزالة منكر**

(١) "رياض الصالِحين" (ص ٥١٩).

قلت: وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فِي جواز غيبة المبتدع شرطين هما:

١- العلم.

٢- وحسن النية.

حيث قال -يرحْمَه الله-: "ثُمَّ القائل فِي ذلك بعلم لابدَّ له من حسن نيَّة، فلو تكلم بِحق يقصد العلو فِي الأرض أو الفساد؛ كان بِمنْزلة الذي يقاتل حَمية ورياء، وإن تكلم لأجل الله تعالَى مُخلصًا له الدين كان من الْمُجاهدين فِي سبيل الله من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل، وليس هذا الباب مُخالفًا لقوله ﷺ: «**الغيبة ذكرك أخاك بِما يكره**». فإن الأخ هو المؤمن، وأخو المؤمن إن كان صادقًا فِي إيْمَانه لَمْ يكره هذا الحق الذي يُحبه الله ورسوله، وإن كان فيه شهادة عليه وعلى ذويه؛ بل عليه أن يقوم بالقسط، ويكون شاهدًا لله، ولو على نفسه أو والديه أو قريبه.

ومتَى كره هذا الحق كان ناقصًا إيْمانه؛ ينقص من أخوَّته بقدر ما نقص من إيْمانه، فلم يعتبر كراهته من الجهة الَّتِي نقص منها إيْمانه؛ إذ كراهته لما يُحبه الله ورسوله توجب تقديْم مَحبة الله ورسوله، كما قال تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢]"(١). اهـ كلامه -رحِمه الله-.

ونَختم هذه الدروس بِما ذكره الشيخ بكر أبو زيد فِي الْمَبحث التاسع من كتاب "هجر الْمُبتدع" (ص ٤٨) **عقوبة من والَى الْمُبتدعة: حيث قال -حفظه الله-**: "كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، كما قال أبو علي الدقاق المتوفى سنة ٤٠٦هـ -رحِمه الله-.

ومن السنن الثابتة: قول النَّبِي ﷺ: «**الْمَرء مع من أحب**». وقد قال أنس ﷺ: «فما فرح المسلمون بشيء بعد الإسلام فرحهم بِهذا الحديث». وقد شدد الأئمة

(١) "مَجموع المسائل والرسائل" (٥/٢٨١).

النكير على من ناقض أصل الاعتقاد، فترك هجر المبتدعة.

وفي معرض رد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على الاتّحادية قال: "ويَجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذبَّ عنهم، أو أثنَى عليهم، أو عظَّم كتبهم، أو عُرف بِمساعدتِهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لَهم، بأن هذا الكلام لا يدري ما هو أو من قاله، إنه صنف هذا الكتاب . . . . .

وأمثال هذه المعاذير الَّتِي لا يقولُها إلا جاهل، أو منافق بل تَجب عقوبة كل من عرف حالَهم ولَمْ يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنَّهم أفسدوا العقول والأديان، على خلق من المشايخ والعلماء، والملوك والأمراء، وهم يسعون فِي الأرض فسادًا، ويصدون عن سبيل الله"[(١)].

قال الشيخ بكر: "فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، وسقاه من سلسبيل الجنة آمين، فإن هذا الكلام فِي غاية الدقة والأهمية، وهو وإن كان فِي خصوص مظاهرة "الاتِّحادية" إلا أنه ينتظم جَميع المبتدعة، فكل من ظاهر مبتدعًا فعظَّمه، أو عظَّم كتبه، ونشرها بين المسلمين، ونفخ به وبِها، وأشاع ما فيها من بدع وضلال، ولَمْ يكشفه فيما لديه من زيغ واختلال فِي الاعتقاد، إن من فعل ذلك فهو مفرط فِي أمره، واجب قطع شره لئلا يتعدى إلَى المسلمين.

وقد ابتلينا هذا الزمان بأقوام على هذا المنوال يعظِّمون المبتدعة وينشرون مقالاتِهم، ولا يُحذرون من سقطاتِهم وما هم عليه من الضلال، فاحذروا أبا الجهل المبتدع هذا، نعوذ بالله من الشقاء وأهله"[(٢)].

---

(١) وانظر: "مَجموع الفتاوى" (١٣٢/٢).

(٢) من "هجر المبتدع" (ص ٤٨، ٤٩).

الفِهرِس

فهرس الموضوعات